كلمة

لا إله إلا الله

و

كيف تنفع قائلها

الدكتور عامر سعيد الزيباري

قَالَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم:

«إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّياتِ، وَإِنَّما لِكُلِّ امْرِىءٍ مَا نَوَىٰ، فَمَن كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِه فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرته لِدُنْيا يُصِيبُهَا أو امْرَأَةٍ يَنكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ». رواه الشيخان.

قَالَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم:

«أَسْعَدُ النَّاس بشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيامَةِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهَ خَالِصاً مُخلِصاً مِنْ قَلْبِهِ». رواه البخاري.

عن معاذ قال: كنت ردف النبي ﷺ على حمار يقال له: عفير، فقال ﷺ: «يا معاذ هل تدري ما حق الله على العباد؟»

قال: الله ورسوله أعلم.

قال ﷺ: «حق الله على العباد أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً، وحقهم على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً»، فقلت يا رسول الله: أفلا أبشر به الناس؟

قال ﷺ: «لا تبشرهم فيتكلوا». رواه البخاري.

كلمة

لا إله إلا الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثانية

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤



إلى عشيرتي..

إلى قرابتي...

إلى أمي وأبي وإخوتي..

إلى أولادي.. وزوجتي.

أدعوهم إلى كلمة (لا إله إلا الله) كلمة التوحيد.. كلمة الإخلاص.. كلمة التقوى لتحقيقها بإخلاص وتجرد قولاً باللسان وتصديقاً بالجنان وعملاً بالأركان.

رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً، وبالقرآن منهاجاً، اللهم اجعلنا عليها نحيا، وعليها نموت، وفي سبيلها نجاهد، وعليها نلتقي في جنات النعيم.

مقدّمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن التوحيد هو أصل دين الإسلام وهو رأس الأمر، وهو أهم الفرائض، ولأجله خلق الله الجن والإنس، وهو الحكمة في إرسال الرسل والأنبياء جميعاً.

قال تعالى: **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾**[(١)].

وقال تعالى: **﴿وما أرسلنا من رسول إلا نوحي إليه، أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾**[(٢)].

وقال سبحانه وتعالى عن نوح وهود وصالح وشعيب عليهم الصلاة والسلام أنهم قالوا لقومهم:

﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾.

وقد ثبت عن النبي ﷺ:

---

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٢٥.

«إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد»[1].

وقد اعترف أعداء الرسل بأن الرسل أمروهم بإخلاص العبودية لله تعالى وخلع جميع المعبودات من آلهتهم من دون الله تعالى، كما قال سبحانه وتعالى في قصة عاد أنهم قالوا لهود عليه الصلاة والسلام ﴿أجئتنا لنعبد الله وحده، ونذر ما كان يعبد آباؤنا﴾[2].

وقال سبحانه وتعالى عن قريش لما دعاهم محمد ﷺ إلى إفراد الله بالعبودية وترك ما يعبدون من دونه:

﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً، إن هذا لشيء عجاب﴾[3].

ولا تصح العبادات ولا يقبلها الله تعالى إلا بصحة التوحيد. كما قال سبحانه وتعالى:

﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك، لئن أشركت ليحبطن عملك، ولتكونن من الخاسرين﴾[4].

إن كلمة التوحيد هي كلمة الإسلام لا يصح إسلام أحد إلا بمعرفة ما وُضِعَت له، ودلت عليه وقبوله والانقياد للعمل به، وهي كلمة الإخلاص المنافية للشرك، وكلمة التقوى التي تحفظ قائلها من الشرك بالله تعالى.

ومن هنا كان التوحيد هو سعادة الدنيا والآخرة ولا نجاة في يوم القيامة ولا قبول لأي عمل إلا بالتوحيد. فهو السبب في الفوز برضاء الله والجنة، ومن فقده فقد حرم خير الدنيا والآخرة، ومن أتى به فقد أتى بأعظم أسباب السعادة والعزة في الدنيا والعفو والمغفرة في الآخرة.

---

(١) متفق عليه.
(٢) سورة الأعراف: الآية ٧٠.
(٣) سورة ص: الآية ٥.
(٤) سورة الزمر: الآية ٦٥.

فمن جاء بالتوحيد ومعه قراب الأرض خطايا وذنوب، لقيه بقرابها مغفرة إن شاء الله وقد يؤخذ بذنوبه ولكنه لا يخلد في النار بل يخرج منها ثم يدخل الجنة.

ولعل هذا هو مصداق قوله تعالى:

﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[1].

ولذلك ورد عن بعض السلف أنه رؤي بعد موته في المنام، فسئل عن حاله، فقال: ما أبقت لا إله إلا الله شيئاً.

إذن فلا إله إلا الله تمحو الذنوب والمعاصي والخطايا.

فإذا تحقق توحيد العبد وإخلاصه لله فيه وقام بشروطه وحقه بقلبه ولسانه وجوارحه، فمقتضى ذلك أن الله تعالى أوجب له العفو عما سلف من الذنوب والمعاصي ومنعه من دخول النار. ويجب أن نعلم أن المقتضى لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه، فقد يتخلف عن التوحيد مقتضاه لفوات شرط من شروطه أو لوجود مانع.

قال الحسن البصري لما قيل له إن ناساً يقولون من قال لا إله إلا الله دخل الجنة:

فقال الحسن :

من قال لا إله إلا الله فأدى حقها وفرضها دخل الجنة.

وورد عن وهب بن منبه لما سئل: هل لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟

---

(١) سورة النساء: الآية ٤٨.

فقال رحمه الله: (نعم ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك).

فمن تحقق بكلمة (لا إله إلا الله) قلبُه، أخرجت منه كل ما ليس لله سبحانه وتعالى من محبة وتعظيم وخوف ورغبة ورهبة ورجاء ودعاء وتوكل واستغاثة واستعانة ونذر ونسك وأي عبادة من العبادات، وعند ذلك يمحو الله ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر، بل قد تتحول إلى حسنات كما قال سبحانه وتعالى: **﴿فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾**. لأن التوحيد له سر عظيم وتأثير شديد، ولو وضع منه ذرة على جبال المعاصي والذنوب لحولها حسنات.

قال ابن القيم رحمه الله:

(إذا كان التوحيد قوياً في القلب، أحالت قوته المواد الرديئة وقهرتها). ومما يؤيد ذلك ما جاء عن أم هانىء أن رسول الله ﷺ قال:

(لا إله إلا الله لا تترك ذنباً ولا يسبقها عمل)[1].

وكذلك رُوِيَ عن رسول الله ﷺ أنه قال:

(من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، مائة مرة، لم يتبعه يومه ذنب ولم يسبقه عمل)[2].

لكل ما سبق من عظمة التوحيد وأنه سبب حياة الدارين من جهة وجهل بعض المسلمين بحقيقته من جهة أخرى حاولت أن أكتب هذه الصفحات لأبين فيها حقيقة التوحيد وأوضح معنى (لا إله إلا الله) ثم

---

(١) رواه ابن ماجه والحاكم وصححه.

(٢) رواه أحمد.

بينت شروطه وما ينافيه. وبذلك يكون قد أجيب عن السؤال المهم الذي ينبغي أن يعرف جوابه كل مسلم وهو كيف تنفع كلمة (لا إله إلا الله) قائلها. ونسأل الله تعالى أن يرزقنا فهمها والعمل بمقتضاها حتى نكون من أهلها فنكون من عباد الله الفائزين في الدنيا والآخرة. ونسأله تعالى أن يصلح حالنا وأن يمن علينا بالفقه في الدين والالتزام بالإيمان الصادق الصحيح ويرزقنا الثبات عليه وأن يعيذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه أجمعين ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

عامر سعيد الزيباري

ذكـر الله

ذكر الله تعالى في كل حال

إن الذكر للقلوب كالهواء للأجسام فإذا كان بالإمكان أن يعيش جسم بدون هواء، فكذلك يمكن أن يحيى قلب بدون ذكر الله.

قال ابن تيمية:

(ذكر الله للإنسان، كالماء للسمك، فانظر كيف يعيش السمك بعيداً عن الماء). إن الحياة سر ومظهرها في البدن والحركة وفي الروح، والجسم لا ينقطع عن الحركة ما دامت فيه الحياة، حتى حال نومه كثير من الأعضاء لا تكف عن الحركة وإذا انقطعت الحركة كان ذلك علامة الموت.

وكذلك القلب يجب أن لا يكف عن يقظته الربانية، حتى أنه إذا نام صاحبه بقي قلبه على يقظته وانتباهه. لأن يَقظان القلب مظهر سريان الحياة الروحية، فإذا انقطع عن يقظته وانطفأ نوره، كان ذلك دليلاً على موته، وغذاء القلب هو ذكر الله وبه يحيى فلزم أن نذكر الله في كل حال حتى يستمر مدد الحياة وارداً على قلوبنا.

وقد يرد سؤال وهو: كيف نذكر الله في كل حال؟

إن رسول الله ﷺ هو قدوة الذاكرين فكان ﷺ يذكر الله إذا أكل وشرب وإذا انتهى منهما. وإذا خلع ثوبه أو لبسه وإذا خرج من بيته أو دخله وإذا أوى إلى فراشه، وحتى أنه لا ينسى ذكر الله إذا تقلب على فراشه من الليل، وإذا خرج إلى سفر أو عاد منه، وإذا ركب دابته أو

دخل قرية، ويذكر الله إذا دخل السوق، وإذا أراد جلب رزق أو دفع هم أو رأى نعمة أو بلاء، وإذا زار المقابر، وإذا أمسكت السماء وأراد الاستسقاء، وإذا هاجت الريح أو أرعدت السماء أو نزل الغيث أو فاض المطر وزاد عن الحاجة، أو رأى هلالاً جديداً، في كل هذه الأحوال وغيرها كان ينتبه قلبه ﷺ لله تعالى خوفاً أو رجاءً فيجري على لسانه بما يشاء من صيغ الذكر.

ولست الآن بصدد استقصاء صيغ الذكر المأثورة عنه ﷺ ومن أراد ذلك فليطلبها في الكتب المتخصصة في ذلك مثل:

- كتاب الأذكار للنووي.
- الوابل الصيب لابن القيم.
- الكلم الطيب لابن تيمية.
- عمل اليوم والليلة لابن السني.
- تحفة الذاكرين بشرح عدة الحصن الحصين للشوكاني.

وغير ذلك من الكتب الكثيرة...

* * *

فوائد الذكر

إن للذكر فوائد كثيرة جداً ذكرها العلماء في كتبهم ومنها على سبيل المثال:

١ ـ ذكر الله يُدْخِلُ على النفوس من الطمأنينة ما تزول به كل مشقة. قال الرسول ﷺ:

«من عجز منكم عن الليل أن يكابده وبخل بالمال أن ينفقه وجبن عن الصدق أن يجاهده، فليذكر الله عز وجل».

٢ ـ يرضي الله عز وجل ويسبب الخير والسرور ويدفع الهموم والغموم.

٣ ـ يجلب الرزق ويكسبه البركة والزيادة.

٤ ـ يقوي وينور القلب والوجه ويورث محبة الله ويكسب المهابة وحلاوة الإيمان والسكينة.

٥ ـ يورث السعادة والمعرفة كما أنّه سبب لحياة القلب وجلاء صدئه.

٦ ـ تُمْحَى به الخطايا وترفع الدرجات وينجي من عذاب القبر.

٧ ـ يحفظ الإنسان من اللهو واللغو والرفث فينشغل به لسانه وقلبه.

٨ ـ يُحْدِثُ الأنس وحب الآخرين ويسعد به جليسه.

٩ ـ يوجب تنزل الرحمة والسكينة وحفوف الملائكة بالذاكر وتستغفر له الملائكة.

١٠ ـ هو نور للعبد في دنياه وقبره ويوم حشره.

١١ ـ الذكر أمان من النفاق.

هذه الفوائد التي ذكرتها هي على سبيل المثال لا الحصر، وإلا فإن للذكر فوائد كثيرة غيرها ظاهرة وباطنة وقد ذكر ابن القيم في كتابه الوابل الصيب للذكر مائة فائدة في جميع النواحي.

فضل الذكر

لما سبق من فوائد الذكر وأهميته في حياة الإنسان ومعيشته وحياة قلبه فقد وردت في فضله آيات وأحاديث كثيرة. فمن الآيات التي وردت:

١ ـ قال تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم﴾(١).

٢ ـ قوله تعالى:

﴿فاذكروني أذكركم واشكروا لي﴾(٢).

٣ ـ قوله تعالى:

﴿والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾(٣).

٤ ـ قوله تعالى:

﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾(٤).

---

(١) سورة الأحزاب: الآيتان ٧٠ ـ ٧١.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٢.
(٣) سورة الأحزاب: الآية ٣٥.
(٤) سورة فاطر: الآية ١٠.

٥ ـ قوله تعالى:

﴿واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين﴾[(١)].

ومن الأحاديث الواردة في فضل الذكر:

١ ـ عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم».

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: «ذكر الله عز وجل».[(٢)]

٢ ـ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال:

«سبق المفردون».

قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟

قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات»[(٣)].

٣ ـ روي أن رجلاً قال:

يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بشيء أتشبث به.

قال: «لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله تعالى»[(٤)].

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٠٥.

(٢) رواه مالك في الموطأ، والحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه الترمذي وقال: حديث حسن. وصححه الحاكم في المستدرك.

٤ - وعن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال:

«مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت»[١].

٥ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده»[٢].

٦ - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منه»[٣].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد ومسلم.

(٣) متفق عليه.

كلمة التوحيد
لا إله إلا الله

أفضل الأذكار
لا إله إلا الله

إن أفضل الأذكار هو كلمة التوحيد التي هي (لا إله إلا الله) وقد ثبت ذلك بنصوص من أحاديث صحيحة ومنها:

١ ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:

قال موسى: يا رب علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به. قال: «قل لا إله إلا الله».

قال موسى: كل عبادك يقولون هذا.

قال يا موسى: لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله)[١].

٢ ـ عن ابن عمر عن النبي ﷺ:

«خير الدعاء دعاء يوم عرفة. وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»[٢].

٣ ـ عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ:

«يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، ينشر له تسعة وتسعون سجلاً كل سجل منها مد البصر ثم يقال:

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك وصححه.

(٢) رواه الترمذي.

أتنكر من هذا شيئاً؟

فيقول: لا يا رب.

فيقال: ألك عذر أو حسنة؟

فيهاب الرجل فيقول: لا.

فيقال: بلى إن لك عندنا حسنات وأنه لا ظلم عليك فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: يا رب هذه البطاقة مع هذه السجلات؟

فيقال: إنك لا تظلم.

فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة»[1].

٤ ـ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

(من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يومٍ مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه)[2].

٥ ـ عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في الموت ولا في القبور ولا في النشور، كأني أنظر إليهم عند الصيحة، ينفضون التراب من رؤوسهم يقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن»[3].

---

(١) رواه الترمذي في الإيمان والحاكم في المستدرك، قال: صحيح على شرط مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه الطبراني.

أهمية كلمة التوحيد

كلمة التوحيد كلمة عظيمة، ويتجلى بعض جوانب من عظمتها فيما يأتي:

١ ـ أنها كلمة قامت بها السماوات والأرضين وخلقت لأجلها جميع المخلوقات.

٢ ـ وبها انقسمت الإنس والجن إلى مؤمنين وكافرين فريق في الجنة وفريق في السعير.

٣ ـ وعليها نصبت القبلة ولأجلها جردت سيوف الجهاد وهي حق الله على العباد.

٤ ـ يعلنها المسلمون كل يوم ٥ مرات في الأذان والإقامة وفي الخطب والصلوات.

٥ ـ وهي الفارقة بين الكفر والإسلام وهي التي جعلها إبراهيم (باقية في عقبه لعلهم يرجعون).

٦ ـ وهي التي شهد الله بها لنفسه وشهد بها ملائكته وأولوا العلم من خلقه.

قال تعالى: **﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو، والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط﴾**.

٧ ـ وهي كلمة الإخلاص وشهادة الحق وبراءة من الشرك.

٨ ـ ولأجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب والصحف.

٩ ـ وهي أول ما يطلب من الكفار عندما يدعون إلى الإسلام.

١٠ ـ من قالها من الناس عصم ماله ودمه وحسابه على الله تعالى.

١١ ـ إن الإسلام مبني على أصلين عظيمين هما:

أ ـ أن لا نعبد إلا الله.

ب ـ أن لا نعبده إلا بما شرع.

قال تعالى: **﴿من كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾**.

قال الفضيل بن عياض:

إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً. والخالص أن يكون لله تعالى، والصواب أن يكون على الكتاب والسنة.

١٢ ـ إن كلمة التوحيد هي سبب للمغفرة فمن أتى بها فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة، ومن تحقق بكلمة التوحيد قلبه أخرجت منه كل ما سوى الله محبّةً وتعظيماً وخشيةً ورجاء وتوكلاً وحينئذ تغفر ذنوبه كلها ولو كانت مثل زبد البحر، وربما قلبتها حسنات فإن التوحيد له سر عظيم ولو وضع منه ذرة على جبال الذنوب والخطايا لقلبتها حسنات.

١٣ ـ إن كل طاعة يصعد بها الملك، أما قول لا إله إلا الله فإنه يصعد بنفسه، ودليل ذلك هو قوله تعالى:

﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾[1].

هذه بعض الجوانب التي تبرز فيها أهمية كلمة لا إله إلا الله، وقد ذكرها بالتفصيل ابن رجب الحنبلي[2] وابن القيم[3] وغيرهما.

---

(١) سورة فاطر: الآية ١٠.

(٢) انظر زاد المعاد ج ١ ص ٢.

(٣) كلمة الإخلاص ص ٥٢ ـ ٥٣.

معنى
لا إله إلا الله

تعني كلمة لا إله إلا الله أنه لا معبود بحق في الوجود إلا الله.

فإن لا: نافية للجنس.

وإله: اسمها.

وخبر لا: محذوف وهو حق.

فلا إله: نفي لجميع ما عبد من دون الله تعالى.

وإلا الله: إثبات الإلهية والعبادة لله تعالى بحق وحده.

قال ابن القيم: دلالة لا إله إلا الله على إثبات إلهيته أعظم من دلالة قوله: الله إله. لأن قوله: الله إله، لا ينفي إلهية ما سواه بخلاف قوله: لا إله إلا الله، فإنه يقتضي حصر الألوهية ونفيها عما سواه.

ولذلك بقي المصطفى ﷺ ثلاثة عشر عاماً يدعو العرب إلى أن يقولوا لا إله إلا الله، ولكن كان جوابهم كما ورد في القرآن:

﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم، فقال الكافرون هذا ساحر كذاب. أجعل الآلهة إلهاً واحداً؟! إن هذا لشيء عجاب. وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم، إن هذا لشيء يراد. ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة. إن هذا إلا اختلاق﴾[1].

(١) سورة ص: الآية ٥.

لأن العرب فهموا معناها، وأن من قالها لا يدعو غير الله فتركوها ولم يقولوها قال تعالى عنهم: **﴿إنهم كانوا إذا قيل لهم: لا إله إلا الله يستكبرون﴾**[1].

ولذلك فما يفعله بعض الناس الجهلة من الذبح والنذر للأولياء أو يتبركون بتراب قبورهم أو الطواف بأضرحتهم أو الاستغاثة بهم في قضاء حاجاتهم ينافي قولهم لا إله إلا الله ولم يفهموا معناها. فكفار قريش أدركوا من هذه الكلمة أنها تبطل عبادة الأصنام كلها وتحصر العبادة لله تعالى وحده خلافاً لرغبتهم وهي الشرك بالله تعالى. إن كثيراً من الناس يظنون أن معنى لا إله إلا الله هو الإقرار بأنه موجود أو الخالق والقادر على كل شيء، وإن من فسر كلمة التوحيد بهذا المعنى فقد حقق التوحيد ولو فعل من الأفعال الشركية ما فعل كالدعاء والاستغاثة بغير الله تعالى.

ولو كان معنى لا إله إلا الله ما ادعاه هؤلاء لما كان بين المصطفى ﷺ وبين المشركين خلاف ونزاع ومعاداة. فإن المشركين لم يكونوا ينكرون وجود الله بل كانوا يقرون أنه خالقهم[2]. قال تعالى: **﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾**[3] ومع هذا كانوا يزعمون أنهم ما يعبدون الأصنام والجن أو الملائكة إلا لتقربهم إلى الله فيزعمون أن تلك المعبودات في درجة قريبة من الله تعالى، ولذلك فإن معبودهم من دون الله يستطيع أن يقرب عابديه إلى الله، فهو إذن وسيط بين الله تعالى الذي كانوا يصفونه بأنه رب الأرباب وبين عباده، ومعنى كلامهم: أن هناك أرباباً أو آلهة صغيرة توصل عبادة الناس إلى الله الكبير رب الأرباب وتوصل كذلك رحمة الله لهم وعقابه لمن عصاه.

---

(١) سورة الصافات: الآية ٣٥.

(٢) كلمة الإخلاص لابن رجب ص ٥.

(٣) سورة لقمان: الآية ٢٥.

فالله سبحانه هو الحق وعبادته وحده هي الحق قال تعالى: **﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل﴾** فإلهية ما سواه باطلة. والقرآن كله يدل على ذلك فقال تعالى: **﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني﴾** وقال تعالى: **﴿قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً﴾** وقد يقول معترض: إن هذا النوع من الشرك قد ولى وانقضى عهده ولا يمكن أن يوجد في هذا العصر عصر الثقافة أحداً يمارسه، فلماذا هذا التعسف واقتحام الآيات التي نزلت في الأصنام وعابديها وتصور كأنها نزلت على المسلمين الذين يتوسلون بالأنبياء والأولياء، ويستغيثون بهم وفي الوقت الذي يطبق هؤلاء كل ما أمرهم الله به من شهادة وصلاة وصيام وزكاة وحج. فتقيسون الأنبياء والأولياء وأهل الإسلام بالأصنام والأوثان والمشركين، فيقال لهم: إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وإن المشركين في القديم منهم من كان يعبد الأنبياء ومنهم من كان يعبد الصالحين كود ويعوق ويغوث، ومنهم من كان يعبد الحجارة والأشجار والملائكة لأن كلمة، (من دون الله) عامة وجميع أولئك المشركين كانوا يقرّون بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت القادر، بيده كل شيء وإنما كانوا يعتقدون أن ما يعبدون من دون الله يقربهم إليه زلفى وقد يضرهم وينفعهم حسب تقربهم إلى تلك المعبودات (الأرباب) بإذن الله تعالى، لأنه تعالى لا يرد طلب أولئك الأرباب من الأصنام والأوثان والمخلوقات من جن وملائكة.

واليوم ما أكثر من يستغيث ويتوسط بالأنبياء والصالحين ويطوف حول قبورهم ويستغيث بهم ويتوسل إليهم بالدعاء والرجاء والنذور والهدايا رجاء المنفعة والثواب.

والحاصل أن المشركين العرب كانوا أهل اللغة العربية وبلاغتها وفهمها فهم علموا: أنهم إذا نطقوا بـ (لا إله إلا الله) فقد أقروا ببطلان

عبادة الأصنام. وعلموا كذلك أن هذه الكلمة ليست عبارة عن اللفظ فقط، ولا عبرة بمعناها. وعرفوا أنها تقتضي ترك عبادة ما سوى الله فلو قالوها وهم يعبدون الأصنام من دون الله لتناقضوا مع أنفسهم.

شروط لا إله إلا الله

يجب على المسلم أن يعلم أنه ليس المراد بالآيات والأحاديث الواردة في فضل لا إله إلا الله وأن من قالها له من الفضل والفوائد مجرد التلفظ بها ولو كررها آلاف المرات كما هو شأن بعض الجهلة من الناس يكررونها دبر كل صلاة مائة مرة، وقد يكررونها في ليلة الجمعة عشرات الآلاف من المرات. ومع ذلك يستغيثون بالأولياء والصالحين ويوسطونهم إلى الله تعالى ويتبركون بقبورهم أو يتحاكمون إلى غير الله ورسوله أو يعتنقون مبادىء وأفكاراً تناقض لا إله إلا الله.

فهناك الملايين من الناس يطوفون حول قبور المشايخ والأولياء يدعونهم ويستغيثون بهم لقضاء حاجاتهم ودفع المصائب أو ليقربوهم إلى الله زلفىٰ ويستشفعون بهم عنده، فهم يناقضون لا إله إلا الله. وكذلك كل من رضي بشريعة غير شريعة الله وكل من رفع راية غير راية الإسلام أو شرّع من دون الله، فكل هؤلاء كذلك يناقضون لا إله إلا الله. إن لكلمة لا إله إلا الله شروطاً استنبطها العلماء من نصوص القرآن والأحاديث الشريفة التي وردت في شأن هذه الكلمة العظيمة وبيان فضلها وحقوقها وقيودها.

قال وهب بن منبه لمن سأله:

أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟

قال: بلى ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك.

وأسنان هذا المفتاح هي عبارة عن الشروط التي ذكرها العلماء لكلمة لا إله إلا الله وهي:

الشرط الأول: العلم المنافي للجهل. أي العلم بأنها نفي لجميع المعبودات الباطلة وإثبات للمعبود الحق جل جلاله. فمن لم يعرف معناها يجهل مدلولها.

قال تعالى: ﴿**فاعلم أنه لا إله إلا الله**﴾[1] وعن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة»[2].

الشرط الثاني: اليقين المنافي للشك. كثير من الناس يقولها وهو شاك فيما دلّ عليه معناها. فيجب أن يكون قائلها مستيقناً بمدلولها.

قال تعالى: ﴿**إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا... أولئك هو الصادقون**﴾[3].

وعن رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة»[4].

الشرط الثالث: الإخلاص المنافي للشرك. وهو تنقية العمل بنية خالصة لله تعالى من جميع شوائب الشرك، فإن من لم يخلص أعماله جميعها لله تعالى فهو مشرك. قال تعالى: ﴿**وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين**﴾[5].

وجاء في الحديث الصحيح: «إن الله حرم على النار من قال لا

---

(١) سورة محمد: الآية ١٩.

(٢) رواه مسلم.

(٣) سورة الحجرات: الآية ١٥.

(٤) رواه مسلم.

(٥) سورة البينة: الآية ٥.

إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله عز وجل»[١].

الشرط الرابع: الصدق المنافي للكذب والنفاق، فيجب أن يقولها المسلم صادقاً من قلبه، ويطابق ذلك لسانه. ومن خالف قوله ما في قلبه فهو كاذب ومنافق لمخالفة الظاهر للباطن قال تعالى: **﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين. يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾**[٢].

وعن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صادقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار»[٣].

الشرط الخامس: القبول المنافي للرد:

لأن في الناس من يقول لا إله إلا الله ويعرف معناها، لكنه ينكر على من دعاه إليها، إما كبراً وإما حسداً، فيجب على المسلم أن يقبلها وما تقتضيه بقلبه ولسانه، قال تعالى: **﴿إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون. ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون﴾**[٤].

الشرط السادس: الانقياد المنافي للترك، أي الانقياد لكل ما دلت عليه لا إله إلا الله المنافي لترك ذلك. ويحصل ذلك بأداء ما فرضه الله تعالى واجتناب ما حرمه الله على عباده لأن حقيقة الإسلام أن يسلم العبد قلبه وجوارحه لله تعالى وينقاد له بالطاعة. قال تعالى: **﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن، فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾**[٥].

---

(١) رواه مسلم.
(٢) سورة البقرة: الآيتان ٨ ـ ١٠.
(٣) متفق عليه.
(٤) سورة الصافات: الآيتان ٣٥ ـ ٣٦.
(٥) سورة لقمان: الآية ٢٢.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»[1].

الشرط السابع: المحبة المنافية لردها.

على المسلم أن يحب هذه الكلمة ويحب ما اقتضته ودلت عليه، لأنه لا يحصل لقائلها معرفة وقبول إلا بمحبة ذلك، فمن أحب الله أحب دينه، والعكس صحيح. قال تعالى: **﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله، والذين آمنوا أشد حباً لله﴾**[2].

وورد في الحديث عن النبي ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهنّ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه منه، كما يكره أن يقذف في النار»[3].

---

(١) قال النووي: حديث حسن صحيح الإسناد.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٦٥.

(٣) متفق عليه.

مفاهيم في
ضوابط الإيمان والكفر

من الواضح أن الكفر والشرك والنفاق والردة هي نواقض الإيمان وقد يبدو أحياناً تداخل مفاهيمها، فيشكل تحديدها بضوابط. وحتى يزول الإشكال وتتحدد ضوابطها لا بد أن يوضح ما يأتي[(١)]:

١ ـ الإيمان شعب متعددة، وكل شعبة منها تسمى إيماناً، فالصلاة والزكاة والحج والصيام من الإيمان وكذلك الحياء والتوكل والخشية من الله وكذلك إماطة الأذى عن الطريق وغيرها.

٢ ـ وهذه الخصال منها ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادة أي لا إله ألا الله محمد رسول الله ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إماطة الأذى عن الطريق.

٣ ـ إن المعاصي كلها من شعب الكفر كقلة الحياء والكذب وترك الفرائض والحكم بغير ما أنزل الله.

٤ ـ إن الإيمان مكون من قول وعمل. والقول قسمان: قول القلب وهو الاعتقاد. وقول اللسان: وهو التكلم بكلمة الإسلام.

والعمل قسمان: عمل القلب وعمل الجوارح. عمل القلب وهو النية. وعمل الجوارح: كالصلاة والصيام.

فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله.

---

(١) انظر: بتصرف كتاب الصلاة لابن قيم الجوزية ص ٢٥ ـ ٣١.

وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأقسام فإن تصديق القلب شرط في إعتقادها وكونها نافعة.

٥ ـ الكفر نوعان: كفر عمل، وكفر جحود.

فكفر الجحود: أن يكفر بما أنزل على الرسول ﷺ وينكر صفات الله أو أحكامه، وهذا الكفر يضاد الإيمان من كل وجه.

وكفر العمل ينقسم إلى قسمين وهما:

أ ـ قسم يضاد الإيمان: كالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف وسب النبي ﷺ.

ب ـ قسم لا يضاد الإيمان: كالحكم بغير ما أنزل الله وترك الصلاة. لأنه كفر عمل لا كفر اعتقاد اللهم إلا إذا كان عمله عن جحود.

٦ ـ وقد نفى النبي ﷺ الإيمان عن الزاني والسارق وشارب الخمر وعمن لا يأمن جاره بوائقه، وإذا نفى عنه اسم الإيمان فهو كافر من جهة العمل وانتفى عنه كفر الجحود والانكار والعناد والاعتقاد.

٧ ـ وكذلك قوله ﷺ:

«لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»(١) فهذا كفر عمل.

٨ ـ وكذلك قوله: «من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد بريء مما أنزل على محمد»(٢).

فهو من باب كفر العمل وهذا الكفر لا يخرجه من ملة الإسلام

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أبو داود.

بالكلية وإن زال عن المرتكب اسم الإيمان.

٩ ـ إذن القاعدة أن هناك كفر دون كفر ونفاق دون نفاق وشرك دون شرك وفسوق دون فسوق وظلم دون ظلم.

فكفر من لم يحكم بما أنزل الله مع إيمانه به، ليس كالكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله. والظلم الذي حكاه ربنا عن آدم: **﴿ربنا ظلمنا أنفسنا﴾**.[١] ليس كالظلم الوارد في قوله تعالى: **﴿والكافرون هم الظالمون﴾**[٢].

ويسمى الكافر فاسقاً والمؤمن فاسقاً وليس فسقهما سواء.

قال تعالى: **﴿وما يضل به إلا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾**[٣] وقال تعالى: **﴿والذين يرمون المحصنات... فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون﴾**[٤].

والنفاق: فمنه ما هو مخرج من الإسلام وهو النفاق الأكبر. وصاحبه في الدرك الأسفل من النار، كنفاق عبد الله بن أبي بن سلول، ومنه ما هو نفاق أصغر لا يخرج من الملة كالرياء والخيانة في الأمانة.

والشرك شركان:

شرك ينقل عن الملة، وهو الشرك الأكبر. قال تعالى: **﴿إنه من يشرك بالله فقد حرّم عليه الجنة ومأواه النار﴾**[٥].

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٣.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٤.
(٣) سورة البقرة: الآية ٢٦.
(٤) سورة النور: الآية ٤.
(٥) سورة المائدة: الآية ٧٢.

وشرك لا ينقل عن الملة: مثل قوله ﷺ: «من حلف بغير الله فقد أشرك»[1].

١٠ ـ إن الرجل قد يجتمع فيه كفر وإيمان، وشرك وتوحيد، وتقوى وفجور، ونفاق وإيمان، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة قال تعالى: **﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾**[2]. فأثبت لهم إيماناً به سبحانه وتعالى مع الشرك.

١١ ـ من قال الكفر أو رضي به مختاراً، فقد كفر، وكذلك إذا فعل الكفر كفر، وإن لم يعتقده ولا نطق به، وكذلك إذا شرح بالكفر صدره.

---

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

(٢) سورة يوسف: الآية ١٠٦.

نواقض كلمة
لا إله إلا الله

بعدما ذكرنا إجمالاً بعض القواعد والخصال في موضوع الإيمان والكفر التي صرح بها الكتاب والسنة واستنبطها العلماء من النصوص، نذكر نواقض للإسلام قررها العلماء وأجمعوا عليها من خلال نصوص الكتاب والسنة. ولم يفرقوا فيها بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره. وهي جداً خطيرة وقد يكون منها ما يقع، ولا يشعر بها المسلم، أو يتهاون فيها بالتأويلات، فيجب على المسلم أن يحذرها ويتوقى الوقوع فيها.

وهي:

١ ـ الشرك في عبادة الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾[(١)]، وذلك بأن يصرف المسلم شيئاً من العبادة لغير الله كدعاء الأنبياء والأولياء أو الطواف حول القبر بنية العبادة أو الذبح والنذر لغير الله تعالى.

٢ ـ من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة. كفر إجماعاً.

٣ ـ من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر إجماعاً.

---

(١) سورة النساء: الآية ١١٦.

٤ ـ من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون الديمقراطية والشيوعية والعلمانية على حكم الله ورسوله، فهم كفار.

٥ ـ من أبغض شيئاً مما جاء به المصطفى ﷺ، ولو عمل به كفر إجماعاً. والدليل على ذلك قوله تعالى: **﴿ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم﴾**(١).

٦ ـ من استهزأ بشيء من دين الله أو ثوابه أو عقابه كفر. والدليل على ذلك **﴿قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن، لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾**(٢).

٧ ـ السحر فمن فعله أو رضي به كفر والدليل قوله تعالى:

﴿وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر﴾(٣).

٨ ـ مناصرة اليهود والنصارى والشيوعيين والمشركين ومعاونتهم على المسلمين لقوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض. ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾**(٤).

٩ ـ من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباع النبي ﷺ وأنه يسعه الخروج من شريعته كما وسع الخضر الخروج من شريعة موسى عليهما السلام فهو كافر.

١٠ ـ الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به لقوله تعالى:

---

(١) سورة محمد: الآية ٩.

(٢) سورة التوبة: الآيتان ٦٥ ـ ٦٦.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٠٢.

(٤) سورة المائدة: الآية ٥١.

﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون﴾[1].

١١ ـ إنكار ركن من أركان الإسلام كالصلاة والزكاة والحج والصوم.

١٢ ـ إنكار ركن من أركان الإيمان وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

١٣ ـ الحكم بغير ما أنزل الله إذا اعتقد عدم صلاحية حكم الإسلام أو أجاز الحكم بغيره.

١٤ ـ تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله.

١٥ ـ شتم الرب سبحانه وتعالى أو سب الرسول ﷺ أو لعن الدين وغير ذلك مما يوجب الكفر.

١٦ ـ اعتناق مبدأ من المبادىء الهدامة الملحدة كالشيوعية أو الماسونية أو الاشتراكية الماركسية أو ما شابه ذلك من الأفكار.

١٧ ـ الانتقال من الإسلام لغيره من الأديان.

لقوله تعالى: **﴿ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة﴾**.

١٨ ـ من يقول أن جميع ما في الكون هو الله مثل من قال أحدهم:

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا   وما الله إلا راهب في كنيسة

ومن يقول: أنا الله والله أنا. فبناء على ما سبق أن من نطق بالكفر يكفر وإن لم يعتقد به.

---

(١) سورة السجدة: الآية ٢٢.

١٩ ـ من يقول بانفصال الدين عن الدولة وأنه ليس في الإسلام سياسة وأنظمة حكم، أو أنه لا يصلح للتطبيق.

٢٠ ـ إنكار شيء من القرآن الكريم أو الأحاديث الصحيحة إذا تعمد ذلك عن علم أو عدم الإيمان بجميع الأنبياء والرسل الوارد ذكرهم في القرآن والسنة أو انتقاص أحدهم. فمن فعل من المسلمين شيئاً مما سبق فقد كفر وخرج عن الإسلام وفعل الشرك الذي يحبط العمل ويخلد في النار، وعليه أن يبادر بترديد كلمة الشهادة (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله) ويترك فوراً ذلك الفعل أو القول المكفر. ويتوب إلى الله توبة نصوحاً ويكرر الاستغفار.

وعلينا أن نكون حذرين من كلمات الكفر التي شاعت في كثير من الأوساط، يلفظونها دون أن يفكروا في خطورتها حيث أنها تكفر قائلها وتخرجه من ملة الإسلام وعليه فوراً أن يكرر كلمة التوحيد والشهادة معلناً رجوعه للإسلام بعدما كفر.

٢١ ـ لا خلاف بين العلماء أن المسلم إذا صدق رسول الله في شيء وكذبه في شيء آخر أنه كافر لم يدخل في الإسلام. وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وكفر ببعضه الآخر، كمن قال لا إله إلا الله ولكنه جحد الصلاة أو أقر بالتوحيد وجحد الصلاة أو غيرها من الأمور الواجبة اليقينية فقد كفر بالإجماع وقد حل دمه وماله.

٢٢ ـ الإيمان بالقرآن وحده وجحود السنة النبوية أي رفض السنة وعدم اتباعها، لأن القرآن الكريم جعل طاعة الرسول من طاعة الله تعالى فقال سبحانه وتعالى: **﴿ومن يطع الرسول فقد أطاع الله﴾**(١).

وقال تعالى: **﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر**

(١) سورة النساء: الآية ٨٠.

بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾[1].

٢٣ ـ من يدعي أن للقرآن ظاهراً يخالف الباطن وباطناً يخالف الظاهر فقد قال تعالى: **﴿إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾**[2].

وقال تعالى: **﴿وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً﴾**.

٢٤ ـ وصف الله تعالى بأوصاف لا تليق بجلاله والاستهزاء به سبحانه وتعالى وبآياته أو سبّه سبحانه وتعالى.

٢٥ ـ سوء الأدب مع حضرة رسول الله محمد ﷺ وذلك مثل الاستهزاء بخصوصية من خصوصياته أو الطعن في نسائه.

---

(١) سورة النساء: الآية ٦٥.

(٢) سورة يوسف: الآية ٢.

كيف تنفع كلمة التوحيد قائلها

هناك أحاديث صحيحة وردت بأن من قال لا إله إلا الله يدخل الجنة. وأن مجرد التلفظ بها يكفي لأن يعصم ماله ودمه وعرضه في الدنيا ويدخله الجنة في الآخرة. وكثير من الناس يقولونها بناء على ذلك تقليداً وعادة دون يقين وإخلاص ودون معرفةً لمعناها. وأغلب من يفتن عند الموت وفي القبور هم من أمثال هؤلاء، كما ورد في الحديث عندما يُسأل الميت في قبره عن ربه وعن نبيه وعن دينه فيجيب: «سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته» ومن تلك الأحاديث التي اعتمد الناس عليها وفهموها خطأ:

١ ـ قوله ﷺ: «إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»[(١)].

٢ ـ وقوله ﷺ: «لا يدخل النار من قال لا إله إلا الله»[(٢)].

٣ ـ كان النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرحل فقال ﷺ: «يا معاذ: فقال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: «ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، إلا حرمه الله على النار»[(٣)].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه البخاري.

٤ ـ وقال النبي ﷺ: «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله حرمه الله على النار»[١].

٥ ـ قوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله»[٢].

٦ ـ حديث البطاقة «التي توضع في كفة ويقابلها تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل منها مد البصر، فتثقل البطاقة وتطيش السجلات، فلا يعذب صاحبها»[٣].

ومن المعلوم أن كل موحد له مثل هذه البطاقة.

٧ ـ حديث قاتل المائة الذي سأل هل له من توبة ثم تاب وانطلق إلى الأرض ليعبد الله هناك، حتى إذا قطع نصف الطريق أتاه ملك الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فاتفقوا على أن يقيسوا ما بين أرضه التي عصى عليها والأرض التي كان مهاجراً إليها ليتوب ويعبد الله فيها، فكان أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة[٤].

٨ ـ ومثل ذلك ما كان من أمر البغيّ التي رأت كلباً وقد اشتد به العطش، يأكل الثرى، فنزلت البئر وملأت الماء في خفها ثم صعدت وخفها محمول بفمها ثم وضعته للكلب الذي جرت عادة الناس بتحقيره، فأمسكت له الخف بيدها حتى شرب لا ترجو من أحد جزاءً ولا شكوراً.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) متفق عليه.

٩ ـ قوله ﷺ:

«من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله»[١].

١٠ ـ وكيف أنكر ﷺ على أسامة بن زيد حين قتل من قال: لا إله إلا الله وقال له: «أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله»[٢] فاستدلوا به على أن من قالها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل كما قال ﷺ: «فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم»[٣].

وقد اختلف كثير من الناس في هذه الأحاديث وما شابهها اختلافاً كثيراً، فذهب بعضهم إلى أنها منسوخة، وذهب آخرون إلى أنها قيلت قبل ورود الأوامر والنواهي واستقرار الشرع. وذهب فريق ثالث إلى أن النار المذكورة في الأحاديث محمولة على نار المشركين والكفار. وذهب آخرون إلى تأويل كلمة الدخول الواردة في الأحاديث بالخلود أي لا يدخلها خالداً. وذهب آخرون إلى أن المقصود أن يقولها ويموت عليها. وذهب آخرون إلى أن مجرد التلفظ كاف للدخول في الإسلام ودخول الجنة كما سبق وذكرت.

لبيان الحقيقة في هذه الأقوال والشبهات نقول:

١ ـ إن هذه الأحاديث إنما هي فيمن قال لا إله إلا الله ومات عليها وقالها من قلبه عن يقين جازم، وإن الرسول ﷺ لم يجعل تلك العصمة حاصلة بمجرد قول اللسان فقط. لأن المنافقين والشيوعيين وأمثالهم يقولونها بألسنتهم وهم من الجاحدين لها.

٢ ـ لا بد من اعتقاد القلب وتصديق اللسان ومعرفة ما تضمنته

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه مسلم.

(لا إله إلا الله) من نفي المعبودات الباطلة وإثبات العبودية لله وحده وقيام هذا المعنى بالقلب علماً ومعرفة ويقيناً. هذا ما يوجب تحريم قائلها من النار وهذا المعنى هو المقصود في الأحاديث السابقة.

٣ ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن حقيقة التوحيد انجذاب الروح إلى الله جملة، فمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه دخل الجنة، لأن الإخلاص هو انجذاب القلب إلى الله تعالى بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحاً، فإذا مات على تلك الحال نال ذلك. ثم يقول:

فهذه الأحاديث وردت مقيدة بالقيود الثقال، وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص ولا اليقين، ثم يقول: وحينئذ فلا منافاة بين الأحاديث فإنه إذا قالها بإخلاص ويقين تامين لم يكن في هذه الحال مصراً على ذنب أصلاً، فإن كمال إخلاصه يوجب أن يكون الله أحب إليه من كل شيء، فإذاً لا تبقى في قلبه إرادة لما حرم الله ولا كراهية لما أمر الله به، وهذا هو الذي يحرم على النار، وإن كانت له ذنوب قبل ذلك، فإن هذا الإيمان وهذه التوبة وهذا الإخلاص وهذه المحبة وهذا اليقين لا يترك له ذنباً إلا يمحى كما يمحى الليل بالنهار».

ويقال كذلك لمن فهم الأحاديث السابقة على ظاهرها:

إن مجرد التلفظ بلا إله إلا الله لا يكفي لعصمة الدماء والأموال، لأن الرسول ﷺ قاتل اليهود وسباهم وهم كانوا يقولون لا إله إلا الله، والصحابة رضي الله عنهم قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله ويصلون ويدعون الإسلام. والإجماع منعقد على أن من أنكر البعث يكفر ويقتل ولو قال لا إله إلا الله، وكذلك من جحد شيئاً من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها ألف مرة ومرة. وأما الجواب عن حديث أسامة: فإنه قتل رجلاً ادعى الإسلام بسبب ظنه أنه ما ادعاه إلا خوفاً على دمه وماله. والرجل إذا أظهر الإسلام وجب

الكف عنه حتى يظهر منه ما يضاد ذلك. وقد أنزل الله في ذلك قوله: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا**﴾[1]. أي فتثبتوا.

ووجه الدلالة من الآية: أنه يجب الكف عمن قال لا إله إلا الله والتثبت منه، فإن ظهر منه بعد قوله لا إله إلا الله ما يناقضها قتل، لقوله تعالى: (فتبينوا).

أما الجواب في قوله ﷺ:

«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»[2] فيقال: أن من أظهر الإسلام والتوحيد وجب أن لا يقتل إلا إذا تبين منه ما يضاد ذلك، ومما يؤيد ما ذكرناه، أمره ﷺ بقتل الخوارج فقد قال ﷺ: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»[3]. ومعلوم أن الخوارج كانوا معروفين بالتهليل حتى إن الصحابة كانوا يحقرون من شأن أنفسهم عندهم لكثرة عبادتهم والتزامهم وورعهم. ولكن لم ينفعهم قولهم لا إله إلا الله ولا كثرة عبادتهم ولا إدعاءهم الإسلام لما ظهر منهم ما يخالف مدلول لا إله إلا الله.

والخلاصة:

لو كان مجرد التلفظ بكلمة لا إله إلا الله ينفع لهان أمرها على مشركي العرب ولكنهم أبوا وامتنعوا عن قولها رغم إيمانهم بأن الله خالق واحد رازق محيي مميت، ولكنهم أدركوا أنهم إذا قالوا لا إله إلا الله يتوجب عليهم ترك أصنامهم، فتعجبوا من دعوة النبي ﷺ لهم:

«قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» فقالوا كما حكى الله تعالى عنهم:

---

(١) سورة النساء: الآية ٩٤.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً، إن هذا لشيء عجاب﴾[1].

وعرف مشركو العرب في الجاهلية أن كلمة لا إله إلا الله تهدم كل المعبودات غير الله الواحد القهار، وتتضمن الخضوع له وحده وتحررهم من عبودية بعضهم لبعض إلى عبودية الله وحده، وتجعلهم سواسية لا فضل لأحدهم على أحد، إلا بقدر تطبيقه والتزامه لمدلول ومقتضى كلمة لا إله إلا الله: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[2]، فإذا قال العبد لا إله إلا الله فقد أعلن وجوب توحيد الله تعالى بالعبادة وبطلان عبادة ما سواه من الأصنام والطواغيت والقبور والأولياء. وبهذا تبطل شبهة هؤلاء الذين يستغيثون ويتوسطون بأنهم يعلمون أن الله واحد وهو القادر على كل شيء، وأنه وحده الحاكم، ويظنون أن هذا القدر هو حسبهم من التوحيد وبعد هذا لو فعلوا ما فعلوا من دعاء غير الله والاعتقاد بالأموات والتحاكم إلى غير شريعته والتقرب للقبور والأولياء بالذبائح والنذور.

إن كلمة لا إله إلا الله كما تفيد توحيد الله في العبادة كذلك تفيد الكفر بما يعبد من دون الله.

وأن العبادة ليست الشعائر التعبدية المعروفة فحسب من صلاة وصيام وحج وذكر وأنه لا يكون الإنسان مسلماً موحداً بمجرد نطقه لكلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله وإنما يجب عليه أن يعمل بمقتضى لا إله إلا الله ليكون موحداً حقاً. أما التوجه بالولاء والمحبة للكفار وأعداء الله فهو نقض لكلمة لا إله إلا الله ولو ظل ينطقها بلسانه آلاف المرات كل يوم ويؤدي معها شعائر التعبد ويستدل على هذا بقوله ﷺ المذكور سابقاً وهو:

---

(١) سورة ص: الآية ٥.

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٣.

«من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله»[1].

هذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع التلفظ بها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده، بل لا يحرم دمه وماله حتى يضيف إلى التلفظ بها معرفة معناها والإقرار بذلك وعدم دعائه غيره سبحانه وتعالى نعم كل ذلك لا يكفي ليكون من أهل التوحيد إلا بأن يكفر بما يعبد من دون الله تعالى وإن شك في ذلك أو توقف لم يحرم دمه ولا ماله ولا يعد من أهل التوحيد. وذلك هو المقصود من قوله ﷺ:

«من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله».

---

(١) رواه مسلم.

آثار التوحيد

إن للتوحيد آثاراً كثيرة في الأفراد والمجتمعات وفي جميع مجالات الحياة ومنها على سبيل المثال:

١ ـ إن الله عز وجل لما خلق آدم عليه السلام استخرج ذريته من ظهره أمثال الذر فأخذ سبحانه وتعالى عليهم الميثاق أن لا يشركوا بالله شيئاً. ومن هنا جاء قول الرسول ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

فالتوحيد هو المحافظة على الفطرة السليمة.

٢ ـ إن الإنسان المتعلق قلبه بالله لا تستغرقه شهوات الحس ولا يجعل همّه في متاع الدنيا، إنما يتطلع إلى المثل العليا والقيم الرفيعة والمعاني الجميلة التي يتحقق بها هدف وجوده، ويترفع عن الرذائل بشتى صورها.

٣ ـ المؤمن الذي يعتقد بكلمة لا إله إلا الله التي يرددها في اليوم مرات إنه لا يخضع إلا لله وحده، ولا يذل لغيره، فهو عزيز بذلك الخضوع لله، لأنه الإلٰه الذي بيده ملكوت كل شيء، ومن ثم فلا يخشى أي شيء غير الله، فالله أكبر وأعظم من كل شيء، وهو الخالق لكل شيء، وهو على كل شيء قدير، وهو القاهر فوق عباده.

٤ ـ إن المسلم حين يعمل بمقتضى لا إله إلا الله تتعلق نفسه بالله وتتوجه إليه في كل الأعمال والأقوال، فيأكل ويشرب بنية تقوية

جسمه ليعبد الله، ويكسب الرزق الحلال ويتزوج ليعف نفسه عن محارم الله، ويتعلم لله، ويبيع ويشتري مراقباً أحكام الله.

وهكذا فحياته كلها لله وأمره كله خير وشأنه كما قال تعالى:

﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له﴾[1].

فيكون الإنسان الموحد بذلك الشعور قوة عظيمة مركزة في إتجاه معين يبني الأرض على الخير ويهدم الباطل.

٥ - المؤمن بكلمة لا إله إلا الله لا يتسرب إليه اليأس، لأن الله قوي عظيم وعين الله لا تغفل عنه، بل يعيش في ظله سبحانه وتعالى فيكون بذلك شجاعاً جريئاً لا يخاف إلا الله تعالى.

٦ - إن المؤمن يكون هواه محكوماً بزمام الشرع فيتردد في عمله على سنن الانقياد ومقتضى العبودية لله تعالى، وكذلك يتحقق كمال العبودية وهو كمال الإنسان من حيث هو مخلوق لله تعالى.

٧ - ورد في شأن المؤمن المصلي في حديث قدسي عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل:

«عليّ أن أجعل الجهالة له حلماً، والظلمة نوراً، يدعوني فألبيه، ويسألني فأعطيه، ويقسم عليّ فأبره، أكلؤه بقربي، وأستحفظه ملائكتي»[2].

٨ - إن الإيمان بالتوحيد وقاية من البلاء ويحفظ النعمة بالشكر ويحول المصيبة بالصبر إلى ثواب ونعيم قال ﷺ:

«عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا

---

(١) سورة الأنعام: الآيتان ١٦٢ - ١٦٣.

(٢) رواه الديلمي.

للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له».

٩ ـ وجد المؤمن بهذه الشهادة أبوة إبراهيم وهو قوله تعالى: **﴿ملة أبيكم إبراهيم﴾**[١] وأمومة أزواج النبي ﷺ **﴿وأزواجه أمهاتهم﴾**[٢] وأخوة المؤمنين **﴿إنما المؤمنون إخوة﴾**[٣] واستغفار الأنبياء **﴿واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾**[٤] واستغفار الملائكة **﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾**[٥] وشفيعاً مثل الحبيب المصطفى ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»[٦] ومشاركة الله في الاسم ﴿المؤمن﴾ فذنب العبد المؤمن ما أزال عنه هذه التشريفات، أفترى أنه يخرجه عن رحمة أرحم الراحمين.

١٠ ـ ورد عن بعض العلماء الصالحين:

عجبت لمن ابتلي بأربع كيف يغفل عن أربع:

ـ عجبت لمن أعجب بأمر كيف لا يقول: **﴿ما شاء الله لا قوة إلا بالله﴾**[٧] وإنه تعالى يقول: **﴿ولولا إذ دخَلْتَ جنتك قُلْتَ ما شاء الله لا قوة إلا بالله﴾**.

ـ وعجبت لمن خاف قوماً كيف لا يقول: حسبي الله ونعم الوكيل، والله تعالى يقول: **﴿الذين قال لهم الناسُ إنَّ الناسَ قد جمعوا لكمْ فاخشوهم فزادهُم إيماناً وقالوا حَسْبُنا الله ونِعْمَ الوكيل. فانقلبوا**

(١) سورة الحج: الآية ٧٨.
(٢) سورة الأحزاب: الآية ٦.
(٣) سورة الحجرات: الآية ١٠.
(٤) سورة محمد: الآية ١٩.
(٥) سورة غافر(المؤمن): الآية ٧.
(٦) رواه الترمذي.
(٧) سورة الكهف: الآية ٣٩.

بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء﴾[1].

- وعجبت لمن مُكِر به كيف لا يقول: **﴿وأفوض أمري إلى الله، إن الله بصير بالعباد﴾**[2]. والله تعالى يقول: **﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا، وحاق بآل فرعون سوء العذاب﴾**[3].

- وعجبت لمن أصابه هم أو كرب لا يقول: **﴿لا إله إلا أنتَ سبحانك إني كنت من الظالمين﴾**[4]. فيقول الله: **﴿فاستجبنا له ونجيناه من الغم، وكذلك ننجي المؤمنين﴾**[5].

---

(١) سورة آل عمران: الآيتان ١٧٣ - ١٧٤.
(٢) سورة غافر: الآية ٤٤.
(٣) سورة غافر: الآية ٤٥.
(٤) سورة الأنبياء: الآية ٨٧.
(٥) سورة الأنبياء: الآية ٨٨.

حماية جناب التوحيد

حماية جناب التوحيد

وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة وصدر من النبي محمد ﷺ أحاديث متعددة لحماية جناب التوحيد وتنقيته من كل شائبة تعكّر صفوه وإخلاصه لله سبحانه وتعالى، وذلك قد يكون بالنص على تحريم كل ما يسبب ضعف الصلة بالله تعالى وكلّ ما يعلِّق العبد بغير الله سبحانه وتعالى أو يضعف ثقة العبد بالله سبحانه وتعالى. من كل عبودية لغير الله تعالى. وكل ما ينافي توحيده الخالص. فنهانا عن صرف كل ما يعبد به الله تعالى لغيره، مثل الاستغاثة والاستعانة والاستعاذة والنذر والحلف والتوكل والدعاء والخوف والرجاء والذبح، ومن قبيل ذلك أيضاً الابتداع في الدين فيجب أن نرضى ونؤمن بما شرعه الله لنا وبلغه رسول الله محمد ﷺ، فحماية لجناب التوحيد العظيم يجب أن توجه القلوب إلى الله في جميع الأمور وتخلص العبادة لله تعالى وحده، لأن العباد خلقوا لذلك وبه أمروا. وسنحاول فيما يأتي أن نلقي الضوء على بعض ما ينافي التوحيد حتى نكون حذرين وبالله التوفيق.

الاستغاثة بالله

إن قائل كلمة لا إله إلا الله يجب أن لا يدعو غير الله فلا يقول: يا رسول الله أو يا غوث الجيلاني أو يا رجال الغيب، فإن هذا شرك وإن زعم أن قصده هو الله. لأن القول يجب أن يكون مطابقاً للنية، وهنا قد خالف، فيجب عليه أن يتوب فوراً من قوله هذا. وقد يقول: أنا أعلم أن الله هو الضار النافع، ولكني أقصد التوسط كالرئيس الذي لا يمكنني الدخول عليه لعرض حاجتي إلا بواسطة وجيه عنده.

فنقول سبحان الله ربنا هذا تشبيه الواحد القهار بالمخلوق الضعيف الظالم الذي لا يدخل عليه أحد إلا بواسطة.

أما ربنا سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم فبابه مفتوح ليل نهار يدخله من يشاء من عباده، وقد قال في كتابه الكريم:

﴿وإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾[1].

وقال: **﴿ادعوني أستجب لكم﴾**[2].

ويعترض كثير من الناس الذين يعتقدون في القبور والأولياء حينما ينصحون ويؤتى لهم بأدلة من القرآن والسنة على فساد عقيدتهم فيقولون:

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٦٤.

(٢) سورة غافر: الآية ٦٤.

إن المشركين الذين ورد ذكرهم في القرآن، كانوا يدعون أصناماً من الحجارة، فكيف تقيسوننا بهم ونحن نؤمن بالله وملائكته ونصلي ونصوم ونحج ونزكي ونتلوا القرآن. ولقد شاهدت بعض حلقات الذكر كما يسمونها فوجدت فيها هذه الأصناف من الناس الذين يدعون غير الله ويستغيثون بغيره، يذكرون مع اسم الله أسماء بعض الصالحين. فلقد سمعتهم غير مرة يرددون مئات المرات: لا إله إلا الله محمد رسول الله، لا إله إلا الله ـ عبد القادر باز الله. سيدي أحمد الرفاعي شيخنا.

ثم ينادون بأعلى صوتهم رسول الله ـ حسن ـ حسين ـ الكيلاني ـ الرفاعي إلى متأخري شيوخهم مثل كسنزاني وبير ولياني وغيرهم ممن يعظمونهم ويستغيثون بهم إلى درجة ذكرهم مع اسم الله. وإذا ما حاولت نصحهم وإرشادهم بترك هذه العقيدة سرعان ما يجيبون بأنهم لا يذكرون هؤلاء الصالحين ولا يستغيثون بهم إلا لأنهم يحبونهم ولأنهم أولياء صالحون.

يرد عليهم:

إن محبة الصالحين والأولياء تقتصر على الاقتداء بهم في سلوكهم وليس الاستغاثة بهم، لأنها لا تعد دليلاً على المحبة وإنما ذلك من أوهام الشيطان يقذفها في قلوب ضعفاء الإيمان ليضلوا عن سبيل الله.

الناس كلهم عبيد الله والله هو الذي بيده مقاليد كل شيء وهو على كل شيء قدير.

قال تعالى: **﴿قل لا أَملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء﴾**[1].

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٨٨.

روى البخاري في صحيحه «لما أنزل الله وأنذر عشيرتك الأقربين» قال ﷺ: يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً»[١].

ويقال في جوابهم كذلك:

إن المشركين في عهد الرسول ﷺ كانوا يعتقدون أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت، ولكنهم يدعون التماثيل والأوثان والأصنام للتوسط فتقربهم إلى الله تعالى. قال الله تعالى: ﴿**والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى. إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار**﴾[٢].

وإن الأصنام الوارد ذكرها في القرآن كانت لرجال صالحين كما جاء في قوله تعالى: ﴿**لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً**﴾[٣].

وورد في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية الكريمة قال:

هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً. أي صوروا على صور أولئك الصالحين سموها بأسمائهم

---

(١) متفق عليه.
(٢) سورة الزمر: الآية٣.
(٣) سورة نوح: الآية٢٣.

ففعلوا ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونُسِيَ العلم، عبدت»[١].

وقد جاء في القرآن الكريم ما يؤيد أن العرب في الجاهلية لم يكونوا يعبدون الأصنام فقط، وإنما كانوا يعبدون ويدعون الملائكة والأنبياء والأولياء فقال تعالى منكراً عليهم:

﴿قل ادعو الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً. أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب، ويرجون رحمته ويخافون عذابه، إن عذاب ربك كان محذوراً﴾[٢].

ورد في بعض كتب التفسير أن هذه الآية نزلت:

في أناس كانوا يعبدون الجن ويدعونهم من دون الله فأسلم أولئك الجن. أو نزلت في جماعة كانوا يدعون المسيح عليه السلام، وقيل أنزلت في قوم كانوا يعبدون الملائكة، وقيل: كانوا يدعون عزيراً.

ومما احتج به المعترضون كذلك على المانعين من الاستغاثة بغير الله فقالوا: إن الذي يغيث في الحقيقة هو الله وحده، والمستغاث هو مجرد سبب. وعلى هذا فالاستغاثة بالأنبياء والأولياء والصالحين تكون من قبيل المجاز كما يقول أحدنا: شفاني الدواء أو مات زيد فإن الشافي والمميت في الحقيقة هو الله. وليس الدواء ولا زيد. وهذا مردود عليهم بقوله تعالى حاكياً عن أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام: **﴿الذي خلقني فهو يهدين، والذي هو يطعمني ويسقين، وإذا مرضت فهو يشفين﴾**[٣].

إنّ القرآن الكريم أكد بالضمير هو في كل الآية ليدل على أن

---

(١) رواه البخاري.

(٢) سورة الإسراء: الآيتان ٥٦ ـ ٥٧.

(٣) سورة الشعراء: الآيات ٧٨ ـ ٧٩ ـ ٨٠.

الهادي والرزاق والشافي هو الله وحده لا شريك له، وأن الدواء سبب وليس هو الشافي.

وربما احتج بعض أولئك المستغيثين بغير الله بأخبار موضوعة ومكذوبة باتفاق علماء الحديث وذلك مثل:

«إذا أعيتكم الأمور فاستغيثوا بأهل القبور» ومثل: «إن الله يوكل ملكاً على قبر كل ولي يقضي حوائج الناس».

ونشير هنا إلى أنه ليس من قبيل الاستغاثة المنكرة أن يذهب المسلم إلى من يظن صلاحه ويطلب منه الدعاء أو النصيحة. ولكن العجب العجاب أن يذهب إلى رجال ماتوا قبل مئات السنين وأصبحوا تراباً وانقطعت صلتهم بالدنيا تماماً إلا بشيء من الأجر فيما بقي من آثاره من ولد صالح يدعو له أو علم ورثه فينتفع منه أو صدقة أجراها في سبيل الله[1].

أما من ناحية تأثيره في الخلق في الحياة الدنيا وهو ميت فهذا محال ومناقض للعقيدة الإسلامية، فهم قد أفضوا إلى ما قدموا ولا علم لهم بقاصدهم والمستغيث بهم لنيل رضاء الله أو جلب نفع أو دفع ضر.

إن الله تعالى قريب من الإنسان يسمعه ويراه ويعلم خطرات قلبه ووساوس نفسه، وهو الذي يرزقه ويشفيه ويحفظه، وهو أرحم الراحمين وأرحم بالإنسان من الأم بولدها. ليت شعري إذن ما هو سبب الاستغاثة بغير الله تعالى في الأمور. أعتقد أن ليس ذلك إلا من قلة الفهم ونقص في الدين وشدة في تعظيم غير الله كما قال تعالى: **﴿وما قدروا الله حق قدره﴾**[2].

---

(١) من قوله ﷺ: إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له.

(٢) سورة الزمر: الآية٦٧.

وقد ألم السخف بالبعض من أولئك الجهلة بالدين حتى أصبحوا يسمون بعض الصالحين غوثاً ويروون عنهم حكايات وأساطير لا أساس لها من الصحة وإنما من إيحاءِ الشيطان لأوليائه.

ولو كان بعض أولئك الصالحين أحياء لما أمروا الذين يستغيثون بهم إلا باتباع الكتاب والسنة وترك الاستغاثة بغيره سبحانه تعالى. وكثير من أولئك المستغيثين الجهلة الضعفاء في عقيدتهم من عباد القبور والأضرحة ومن الدعاة إلى البدع يزعمون أن الأنبياء والصالحين والشهداء أحياء في قبورهم كحياتهم في الدنيا بنصوص في الكتاب والسنة، ويزعمون أنهم يأكلون ويشربون ويتنعمون كما كانوا في الحياة الدنيا. فعلى ذلك ما المانع من جواز الاستغاثة بهم بما أنهم أحياء في قبورهم ويسمعون. ويستندون إلى قوله تعالى في ثواب الشهداء: ﴿**بل أحياء ولكن لا تشعرون**﴾[١].

للرد عليهم نذكر أقوال بعض المفسرين. فقد قال البيضاوي في تفسيره:

«إن إثبات الحياة للشهداء في زمان بطلان الجسد وفساد البنية ونفي الشعور بها، دليل على أن حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس حياة الحيوان، لأنهما بصحة البنية واعتدال المزاج، وإنما هي تدرك بالوحي لا بالعقل».

هكذا فإن حياة الشهداء حياة غيبية برزخية لا يعلم كيفيتها إلا الله، ولكل دار حكم، فلما خرجوا من الدنيا لا يجوز أن نطبق عليهم أحكام الحياة الدنيا فإن كان جائزاً أن نسأل الرسول ﷺ الدعاء في حال حياته، فلا يجوز أن نسأله بعد موته ما كان يُسأل في الدنيا.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٥٤.

عدم
تصديق العرافين والكهان

ورد في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد»[1].

إن الله هو الذي يعلم الغيب وما تخفيه الأنفس ويعلم السر وأخفى. وحرام على المسلم أن يأتي الكهان والعرافين والسحرة. وتصديقهم شرك بالله فيما يقدر عليه سبحانه وتعالى.قال تعالى:

﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾[2].

قد يقع منهم شيء صحيح صدفة أو ظناً أو حزراً، وجل كلامهم كذب، فلا يغتر بهم إلا ضعيف الإيمان.

إن الكاهن هو الذي يأخذ عن مسترق السمع، وكانوا قبل المبعث كثيراً وقلوا بعد المبعث، لأن الله تعالى حرس السماء بالشهب، وأكثر ما يقع في هذه الأمة ما يخبر به الجن مواليهم من الإنس عن الأشياء الغائبة مما يقع في الأرض من الأخبار فيظنه الجاهل كرامة وكشفاً. وقد اغتر بذلك كثير من الناس يظنون ذلك المخبر لهم عن الجن ولياً لله وفي الحقيقة هو من أولياء الشيطان كما قال تعالى:

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) سورة النحل: الآية ٦٥.

﴿ويوم يحشرهم جميعاً، يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس. وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا: قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله﴾[1].

وقال ﷺ:

«من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً»[2].

قال البغوي: العراف هو الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك. وقيل: هو الكاهن، وهو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل، وقيل: الذي يخبر عما في الضمير.

ولو كانوا يعلمون الغيب والأسرار لاستخرجوا الكنوز من الذهب والفضة في الأرض ولما كانت حالتهم كما نراها يتحيلون على ضعاف النفوس للحصول على دراهم معدودة. ونسألهم إذا كان لديهم هذا العلم بالغيب وبما في نفوس الناس لماذا يستغلون الضعاف ويجلسون على الشوارع أو في بيوت قديمة؟ لماذا لا يذهبون إلى الحكومات والدول ويأتون لهم بالأسرار وخصوصاً أن الأمة الإسلامية مبتلاة باليهود وغيرهم من الأعداء منذ زمن بعيد، فلماذا لا يكشفون للمسلمين خطط اليهود ونواياهم ومخازن أسلحتهم وأسرارهم العسكرية حتى يسهل القضاء عليهم؟!

إن المصيبة هي أن أولئك الكهان والعرافين يروجون لضلالهم بين الناس باسم الإسلام والإسلام منهم بريء براءة الذئب من دم يوسف، قال الرسول ﷺ: «ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٢٨.

(٢) رواه مسلم.

تكهن له أو سحر أو سحر له ومن أتى كاهناً فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد»[1].

إن الكهانة والعرافة وما شابههما من الأفعال هي من الأمور التي حاربها الله ورسوله حماية لجناب التوحيد الخالص. فعلى المسلم أن يبتعد عنها حتى تكون عقيدته سليمة وصافية. وكما عرفت فالسائل والمسؤول سواء في الإثم، لأن كل هذا العمل كذب ودجل. ولا معرفة لهم بالغيب لأن الله وحده هو الذي يعلم غيب السماوات والأرض ومن ادعى معرفة شيء من الغيب فقد أشرك بالله وإن صلى وصام.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن عن ابن عباس.

الرقى وتعليق التمائم

كثير من المسلمين الجهلة يعتقدون بتأثير التمائم وأنها تشفي من المرض أو تحفظ من البلايا فنرى بعض من يدعي العلم أو الولاية أو النسب يكتبون لزبائنهم حجباً وتمائم يكتبون فيها خطوطاً ورسوماً وطلاسم أو يتلون عليهم بعض الكلمات والعبارات وقد يخلطونها ببعض آيات من القرآن. ثم يغترون ويزعمون أنها تحفظ حامليها من أذى الجن أو الحساد أو شر العين.

عن عقبة بن عامر أنه جاء في ركب عشرة إلى رسول الله ﷺ: فبايع تسعة منهم وأمسك عن العاشر. فقالوا: ما شأنه؟ فقال: «إن في عضده تميمة» فقطع الرجل التميمة فبايعه رسول الله ﷺ ثم قال: «من علق تميمة فقد أشرك»[1].

وعن ابن مسعود أنه دخل على امرأته وفي عنقها شيء معقود فجذبه فقطعه ثم قال: لقد أصبح آل عبد الله أغنياء أن يشركوا بالله ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك»[2] قالوا: يا أبا عبد الرحمن هذه الرقى والتمائم قد عرفناها فما التولة؟

قال شيء تضعه النساء يتحببن به إلى أزواجهن. وهو ضرب من السحر.

---

(١) رواه أحمد والحاكم ورواة أحمد ثقات.

(٢) رواه أحمد وأبو داود.

قال أهل العلم: إذا كانت الرقى بقراءة القرآن وذكر الله أو أدعية مشروعة فلا بأس بها.

والأولى تركها وإن كانت قرآناً لأنها قد تؤدي إلى تعليق ما ليس من القرآن فيفضي إلى عدم إنكارها ويتعلق القلب بها على أنها هي النافعة والضارة. ومن ناحية أخرى إن تعليق التميمة من القرآن قد يكون سبباً في امتهانه فلا بد أن يدخل به الخلاء ونحوه.

وقال ﷺ: «من تعلق شيئاً وكِّل إليه»[1]. إن التعلق يكون بالقلب وينشأ عنه القول والفعل، وهو التفات القلب عن الله إلى شيء يعتقد أنه ينفعه أو يدفع عنه وهو منافٍ لقوله تعالى:

﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾، فإن كان من الشرك الأصغر فهو ينافي كمال التوحيد وإن كان من الشرك الأكبر كعبادة أرباب القبور والمشاهد والطواغيت ونحو ذلك فهو كفر بالله. والمقصود بقوله ﷺ «وكل إليه» يعني وكله الله إلى ما علق به قلبه من دون الله. ومن وكله الله إلى غيره ضل وهلك.

قال أحمد بن حنبل عن وهب بن منبه قال:

«أوحى الله إلى داود عليه السلام: يا داود وعزتي وعظمتي لا يعتصم بي عبد من عبيدي دون خلقي، أعرف ذلك من نيته، فتكيده السماوات السبع ومن فيهن والأرضون السبع ومن فيهن إلا جعلت له من بينهن فرجاً ومخرجاً. أما وعزتي وعظمتي ما يعتصم عبد من عبيدي بمخلوق دوني أعرف ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السماء من يده وأسخت الأرض من تحت قدميه ثم لا أبالي بأي واد هلك».

---

(١) رواه الترمذي.

ولهذا ورد عن سعيد بن جبير رضي الله عنه أنه قال:

«من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة».

وعن إبراهيم النخعي: «كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن» فعلى هذا يجب النهي عن تعليق التمائم وكذلك ينبغي الترغيب في قطعها.

ورحم الله سلفنا الصالح كيف كانوا حذرين مما يؤدي إلى الشرك وإن كان ليس شركاً بذاته، ولذلك كانوا يكرهون التمائم بالقرآن حتى لا يكون هناك مجال للتمائم بغير القرآن كما هو واقع الآن فنرى التمائم تكتب فيها الرموز والطلاسم والصور ثم تعلق لأغراض شتى.

أما الرقى وهي التي تسمى العزائم فلا تخلو من الشرك وما كان بالقرآن أو بالمأثور فقد رخص فيه رسول الله ﷺ.

الذبح لله تعالى

قال تعالى: **﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾**[1].

قال ابن كثير رحمه الله: معنى الآية أن الله تعالى يأمر نبيه ﷺ أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله تعالى من الأصنام والتماثيل ويذبحون لها أنه ﷺ أخلص لله صلاته وذبيحته وأنه خالفهم عما هم فيه من الإشراك بالله تعالى.

إن الصلوات التي هي أعظم فرائض الإسلام قد اشتملت على دعاء المسألة ودعاء العبادة وكذلك الذبائح يجب أن تكون خالصة لله تعالى وجميع الممارسات في الحياة يجب أن تكون لله تعالى بالقصد والنية. والمقصود أن هذه الآية الجامعة تدل على أنه ينبغي أن تكون أقوال العبد وأفعاله كلها منصرفة لله تعالى ولا يصرف شيء قط لغيره تعالى.

ولذلك فقد جاء في الصحيح عن علي رضي الله عنه قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: «لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثاً، لعن الله من غير منار الأرض»[2].

---

(١) سورة الأنعام: الآيتان ١٦٢ ـ ١٦٣.

(٢) رواه مسلم.

ومما يدل على تحريم الذبيحة لغير الله ما جاء عن طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال:

«دخل رجل الجنة في ذباب ودخل رجل النار في ذباب».

قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟

قال ﷺ:

«مر رجلان على قوم لهم صنم، لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئاً، فقالوا لأحدهما: قرب، قال: ليس عندي شيء أقرب، قالوا له: قرب ولو ذباباً، فقرب ذباباً فخلوا سبيله، فدخل النار. وقالوا للآخر: قرب، فقال ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل، فضربوا عنقه، فدخل الجنة»[1].

ومن ذلك نعلم أن الشرك مهما كان قدره فهو خطير لأن المشرك يقصد بقلبه غير الله ولعل من هذا الباب كان النبي ﷺ يحذر أمته ويخوفهم من الشرك وإن كان شيئاً بسيطاً منه فقال ﷺ:

«من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة»[2].

وبعد هذا نعلم أن المؤمن الموحد يدرك خطورة الشرك وآثاره فينفر منه ويقاومه بشدة كي لا يلتبس به ولو أدّى ذلك إلى التضحية بروحه، وهذا مصداق قوله ﷺ:

«ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار»[3].

---

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.

ولحرص النبي ﷺ الشديد على حماية جناب التوحيد وسد الطرق المؤدية إلى ما ينافي التوحيد، حذر أمته من الذبح في مكان يعبد فيه شيءٌ من دون الله حتى يكون هذا الذبح خالصاً لله ولا تشوبه أية شائبة شرك.

ورد عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال:

نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة، فسأل النبي ﷺ فقال:

«هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد»؟

قالوا: لا.

قال ﷺ: «فهل كان فيها عيد من أعيادهم»؟

قالوا: لا.

فقال ﷺ: «أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم»[١].

فلا يجوز إذن اتخاذ آثار المشركين محلاً للعبادة لأنها أصبحت محلاً لما حرم الله من الأمور الشركية والمعاصي. والحديث جاء في النذر ولكنه يشمل كل عبادة، فلا تقام ولا تفعل في هذه الأماكن التي اتخذت محلاً لسخط الله تعالى والذبح ذكر هنا كمثال وأنه يقاس عليه كل عبادة أخرى.

---

(١) رواه أبو داود.

الحلف بالله تعالى

لا يسعنا المجال هنا أن نبحث الموضوع في كل جوانبه بالتفصيل، وإنما يكفينا سرد بعض الأوهام والشبهات التي زينها الشيطان لقسم من الناس ليضلهم عن سبيل الله. ولقد استجاب كثير منهم فابتدعوا فنوناً من الحلف التي لم يبحها الله ورسوله فكثيراً ما نسمع على أفواههم: (أموت على اليهودية أو النصرانية) إن فعلت كذا أو (بريء من الله ورسوله) أو (من الإسلام) إن قمت بكذا وغير ذلك من الألفاظ الخطيرة جداً.

حرصاً على سلامة عقيدة المسلم وعدم انزلاقه، حذر الرسول ﷺ من مثل هذه الأيمان فقال فيما يرويه بريدة عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «من حلف فقال إني بريء من الإسلام، فإن كان كاذباً فهو كما قال، وإن كان صادقاً فلن يعود إلى الإسلام سالماً»[1].

وبعض الناس ابتدعوا الحلف بالآباء، والأجداد وغيرهم من المخلوقات.

وهم قسمان:

قسم تعودوا على ذلك ليس على سبيل التعظيم ومع ذلك فهم آثمون وعليهم أن يتجنبوا ذلك، وقسم آخر: يفعلون ذلك تعظيماً للمخلوق وما أكثر من رأيت يحلف بالقرآن كذباً، ولو تقطعهم إرباً

---

(١) رواه أبو داود والنسائي.

إرباً ما حلفوا بالغوث أو الولي الفلاني كذباً: إن ذلك لشرك مبين وضلال كبير، لأن الحلف بغير الله تعالى يقتضي تعظيم المحلوف واعتقاد النفع والضرر منه، والله سبحانه وتعالى هو وحده المختص بذلك، وعلى هذا فمن أقسم بالأب أو الجد أو الشيخ أو السيد أو الكعبة أو النبي، فإن يمينه باطل لا ينعقد ولا كفارة عليه.

وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «لا تحلفوا بآباءكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد ولا تحلفوا إلا بالله ولا تحلفوا إلا وأنتم صادقون»[١].

وقال ﷺ في حديث آخر: «من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»[٢].

إن الأحاديث كثيرة جداً في هذا الموضوع فمن أراد التفصيل فليراجع صحيح البخاري وصحيح مسلم والصحاح الأخرى وكتب الفقه والتفاسير.

فلا يجوز للمسلم أن يحلف بغير الله، وينبغي أن لا يغتر بأقوال بعض من يدعي أنه لا بأس في ذلك إذا كان المقصود بالحلف محبة المحلوف به وليس غير ذلك. إن الرسول ﷺ هو أحب الناس إلى النفس المسلمة، فإذا كان الشرع الإسلامي قد نهى عن الحلف به، فكيف بغيره من آباءنا أو الصالحين. وما أروع ما قاله عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

«لئن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أن أحلف بغير الله صادقاً».

لأن الأول معصية يتاب عنها بالكفارة، أما الثاني فشرك.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

وقال ﷺ:

«من حلف بغير الله فقد أشرك»(١).

إننا إذا كنا نحب الرسول ﷺ وأصحابه والصالحين والأولياء من أتباعه ﷺ، فلنتبعهم ولنقتد بسيرتهم ولننتهج منهجهم لنصل إلى ما وصلوا إليه من التقوى والإخلاص.

يا ترى ما هو الذي ننتفع به من جراء الحلف بهم وتعظيمهم وما الذي نجنيه من محبتهم إذا لم نقتف أثرهم.

وقبل أن نأتي إلى نهاية الموضوع نشير إلى نقطة أخرى وهي أنّ هناك نوعاً من الأيمان يستخدمها الباعة وأهل التجارة، حيث كثيراً منهم اتخذوا من أيمانهم الكاذبة وسيلة لصرف بضائعهم والحصول على الأرباح، ومثل هذا الأيمان تسمى الأيمان الغموسة وهي التي تسلب بها الحقوق بواسطة الغش والخيانة والأكاذيب لذلك عدَّ هذا العمل من الكبائر، ولا كفارة فيها وإنما تجب التوبة ورد المظالم إلى أصحابها. قال تعالى:

﴿ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم﴾.

وعن أبي هريرة «خمس ليس لهن كفارة الشرك بالله وقتل النفس بغير حق وبهت المؤمن ويمين صابرة يقطع بها مالاً بغير حق».

إذا صدر منك يمين بعمل شيء معين أو عدم عمله ثم نقضتها أو حنثت فيها فما عليك إلا أن تسرع فتكفر عن يمينك لتتخلص من الذنب. والكفارة تكون كما ذكرها الله تعالى في محكم كتابه العزيز:

﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم. ولكن يؤاخذكم بما عقدتم

---

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام، ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم، واحفظوا أيمانكم، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون﴾[1].

وعلى ذلك فيحرم على المسلم أن يحلف بالشرف أو الآباء والأجداد والأولاد وبالنبي وغير ذلك، لأن الحلف بواحدٍ منهم تعظيم للمحلوف به والتعظيم لا يكون إلا لله فحماية لجناب التوحيد الخالص حرم الله ورسوله الحلف بغير الله تعالى.

---

(١) سورة المائدة. الآية ٨٩.

النذر لله تعالى

هذا الموضوع متعلق بالاستغاثة بغير الله لأن المبتدعين يعتقدون أن الاستغاثة بالشيخ الفلاني لا تجوز إلا بنذر حيوان يذبح له أو على الأقل يقدم له الثواب أو تقديم بعض الدنانير لسدنة ضريح الشيخ المستغاث به أو شراء بعض القماش الأخضر ليوضع على قبره ليتبرك به أصحاب الحاجات فكل يعطى منه بضع سنتيمترات بمبالغ مناسبة.

إن النذر في عرف الشرع: هو التزام قربة غير لازمة في أصل الشرع بلفظ يشعر بذلك، مثل أن يقول المرء لله عليّ أن أتصدّق بمبلغ كذا أو يقول إن شفى الله مريضي فعلي صيام ثلاثة أيام ونحو ذلك.

كثير من الناس خالفوا ما ورد في هذا التعريف في النذور فمارسوا في موضوع النذور أموراً ابتدعوها من عند أنفسهم ما نزل الله بها من سلطان، ومن ذلك مثلاً ينذرون لأضرحة الأولياء والمشايخ عند استنجادهم أو الاستغاثة بهم. وقد ذم الله سبحانه وتعالى من يقوم بهذا العمل وأمثاله.

فقال تعالى في أهل الجاهلية قديماً حينما كانوا يقربون النذور إلى أصنامهم وآلهتهم طلباً لشفاعتهم عند الله أو ليقربوهم إليه درجات.

﴿وجعلوا لله ما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً، فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا، فما كان لشركاءهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركاءهم ساء ما يحكمون﴾[1].

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٣٦.

مثل هذه النذور محظورة في الشريعة الإسلامية ويأثم المسلم إذا وفى بها. أما النذر الخالص لله فلا مانع منه، وإنما يكون فيه أجر.

فقد قال تعالى مادحاً عباده المؤمنين الأبرار:

﴿يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً﴾(١).

ويقول في موضع آخر:

﴿وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه﴾(٢).

وعلى كل حال فإن النذر لا يرد شيئاً ولا يأتي بخير إلا أنه صدقة تستخرج من مال البخيل للفقراء وحث من الإسلام للإنفاق.

فقد روى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ: «نهى عن النذر وقال إنه لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من مال البخيل»(٣).

وقال ﷺ:

«من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصيه»(٤).

ولا يجوز أبداً أن يكون النذر مشروطاً بل يجب الإيفاء في كل حال.

هذا وإن النذر إذا دخل في تقديمه اسم المخلوق كان باطلاً وشركاً بالله تعالى لأن النذر لا ينذر إلا أن لدفع بلاء أو جلب منفعة وهذا كله من اختصاص الله تعالى وقدرته وعز وجل فهو الذي ينفع ويضر وهو الذي بيده مقاليد السموات والأرضين ولا يجوز بحال من الأحوال قط أن يشرك أحد في هذه الأشياء غيره سبحانه وتعالى عما يصفون.

---

(١) سورة الإنسان: الآية ٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٧٠.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه البخاري.

وقد يسأل سائل: ما هو حكم الشرع الإسلامي في النذور لسيد أو شيخ أو صالح وهم أحياء فيقال: أن النذر إنما شرع مساعدة للفقير بالتصدق عليه وسد حاجته فإن كان الشيخ المنذور له من أولئك الصنف فقيراً أو محتاجاً وقصد النذر صدقة فحسب، فنذره جائز ويصيبه الأجر لأنه من قضى لمسلم حاجة قضى الله له حاجة يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في يوم القيامة. أما الذين ينذرون للأموات أو للأحياء اعتقاداً بتوسطهم لهم عند الله فمثلهم مثل الذين قال الله تعالى عنهم:

﴿الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾(١).

وكيف يقرب شيئاً لغير الله لجلب منفعة وهو القائل:

﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين. لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾(٢).

وقد يعترض أولئك المبتدعون بقولهم: نحن ننذر لله وحده ولكن الثواب نقدمه للأولياء وأصحاب الأضرحة. والذي نفسي بيده إن ذلك لعين الضلال ولب المعصية.

فإذا لم تعتقد بأن الولي الشيخ سيتوسط لك عند الله بذلك النذر فلماذا تذكر اسمه في النذر وثوابه.

قال تعالى:

﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾(٣).

---

(١) سورة الكهف: الآية ١٠٤.

(٢) سورة الأنعام: الآيتان ١٦٢ ـ ١٦٣.

(٣) سورة الكهف: الآية ١١٠.

عندما ينذر المرء ذبح حيوان لله ولكن على مرقد فلان الشيخ الولي فلماذا يتقرب بما يذبحه على باب الضريح؟! ولماذا يذكر اسم صاحب الضريح إذا لم يكن لتعظيمه والاعتقاد فيه أنه يضر وينفع؟!

قال رسول الله المصطفى ﷺ وهو يحذرنا وينبهنا ويجنبنا هذه الأعمال الخطيرة على عقيدة المسلم وبالتالي على مصيره في الآخرة:

«دخل رجل الجنة في ذباب ودخل النار رجل في ذباب».

قالوا كيف ذلك يا رسول الله؟ قال:

«مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجاوزه أحد حتى يقرب له شيئاً، قالوا لأحدهما: قرب! قال ليس عندي شيء أقرب به. قالوا: قرب ذباباً! فقرب ذباباً فخلوا سبيله. وقالوا للآخر: قرب! قال وما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل، فضربوا عنقه فدخل الجنة»[1]. وحذار من الذبح على أبواب الأضرحة والمراقد لتكون على صراط الله المستقيم ومن عباد الله المخلصين الصادقين في إيمانهم وعبادتهم.

وقد قرر العلماء أنه لا يذبح بمكان يذبح فيه لغير الله حماية لجناب التوحيد.

وجاء في الحديث أن رجلاً نذر أن ينحر إبلاً ببوانة فسأل النبي ﷺ فقال:

«هل كان فيه وثن من أوثان الجاهلية يعبد»؟

قالوا: لا.

---

(١) رواه أحمد.

فقال ﷺ: «أوف بنذرك فإنه لا وفاء بنذر في معصية الله تعالى ولا فيما لا يملك»[1].

ومن قبيل النذر الوقف فلا يجوز كذلك على قبور الأولياء. فمن فعل شيئاً من ذلك فلا يجوز الوفاء به ولكنه يتوب عن فعلته. فمن وقف أرضاً أو حيواناً أو مزرعة على قبر فوقفه باطل، ووصيته بذلك باطلة، فيبقى الموقوف أو المنذور أو الموصي به على ذمة مالكه.

وإذا ما نُصحوا يردون: بأن النذر أو الوقف أو الوصية لله تعالى والثواب للولي، ولا شك أنه جواب باطل.

فيقال لهم: فما هو الدافع إذن لإدخال اسم الولي في الموضوع؟!

(١) سبق تخريجه.

الغلو في الأنبياء والصالحين

إن معنى كلمة (أشهد أن محمداً رسول الله) هو:

أن نطيعه فيما أمر ونصدقه فيما أخبر ونجتنب ما نهانا عنه ونعبد الله تعالى بما شرعه وقاله ﷺ.

وهو عبد الله ورسوله، ولكن كثيراً من المسلمين فرطوا في متابعته وطاعته فتركوا سنته وابتدعوا. وأفرطوا في ادعاء محبته حتى سألوه حاجاتهم واستغاثوا به وأقسموا به وحسبوا أن هذه من محبته وطاعته، وقد أخطأوا لأنه ﷺ هو نفسه حذرنا ومنعنا من هذا الإفراط والغلو فقد وردت أحاديث صحيحة في ذلك فمنها على سبيل المثال:

١ ـ قوله ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله»[١].

٢ ـ لما قيل له أنت سيدنا فقال ﷺ:

«السيد الله».

٣ ـ لما قيل له: ما شاء الله وشئت، قال ﷺ:

«ما شاء الله وحده أجعلتني لله نداً»[٢].

(١) متفق عليه.

(٢) رواه النسائي وصححه.

٤ ـ لما قال أصحابه قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ:

«إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله عز وجل»(١).

فالرسول ﷺ هو قدوتنا والواسطة بيننا وبين الله في التبليغ.

ومحبته تكون في اتباع أوامره واجتناب نواهيه لأنه لا ينطق عن الهوى: **﴿إن هو إلا وحي يوحى﴾**(٢).

ومن مقتضى شهادة «أن محمداً رسول الله».

أن نعبد الله تعالى بما شرع سبحانه وتعالى وبما بلغ عنه رسول الله ﷺ، فمن ابتدع في الدين ما لم يأذن به الله فهو لم يحقق معنى شهادة أن محمداً رسول الله.

لأن دين الإسلام مبني على أصلين عظيمين وتشملهما كلمة: (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) وهما:

الأول: أن لا يعبد إلا الله وحده.

الثاني: أن لا يعبد إلا بشريعة نبيه ورسوله محمد ﷺ.

فمن دعا الأموات من الأنبياء وغيرهم أو الأشجار والأحجار من المخلوقات أو استغاث بهم أو تقرب إليهم بالذبائح والنذور فقد اتخذهم أرباباً من دون الله، وهذا يناقض (لا إله إلا الله).

ومن ابتدع في الدين وشرع فيه ما لم يأذن به الله من البدع والأحكام المستحدثة المخالفة لشرع الله الذي بلغه رسول الله ﷺ، لم يحقق معنى شهادة (أن محمداً رسول الله).

قال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»(٣).

---

(١) رواه الطبراني.
(٢) سورة النجم: الآية ٤.
(٣) متفق عليه.

إن الغلو في أي شيء ينتج ما لا يحمد عقباه ولذلك فكان رسول الله ﷺ يحذر أمته من الغلو فقال ﷺ: «إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو»(١).

ولفظ الغلو في الحديث كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية عام يشمل جميع أنواع الغلو سواء كان في الاعتقادات أم في الأعمال.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قالها ثلاثا(٢).

ومن أجل عدم الوقوع في الغلو حذر المصطفى أمته من أن يقعوا فيما وقع فيه النصارى في حق عيسى عليه السلام من الإفراط فيه وزعمهم أنه ابن الله سبحانه وتعالى.

قال ﷺ:

«لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله»(٣).

لأن أشرف مقامات الأنبياء هو العبودية.

ولخطورة الغلو نص ربنا سبحانه وتعالى محذراً منه، لأنه يؤدي إلى الشرك بالله تعالى.

فقال تعالى:

﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم، ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾(٤).

---

(١) رواه أحمد والترمذي.

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه.

(٤) سورة النساء: الآية ١٧١ .

وتحذيراً من الغلو جاء في السنة التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح.

ففي الصحيح عن عائشة أن أم سلمة رضي الله عنها ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة بأرض الحبشة وما فيها من الصور فقال ﷺ: «أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله»[١].

وتحذيراً من الغلو كذلك جاء عن رسول الله ﷺ فيما روته عائشة رضي الله عنها أنها قالت:

لما نزل برسول الله كان يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها، فقال وهو كذلك (أي في سكرات الموت):

«لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[٢]، يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً.

ولو سألنا من يصلي عند قبر أو ضريح عن سبب صلاته في هذا المكان لأجاب أنه إنما يصلي لله تعالى. فنقول له لماذا إذاً تحريت هذا المكان لتصلّي فيه؟!.

إن نص هذا الحديث يفيد أن الرسول ﷺ لعن من يصلي عند القبور ويتخذها مساجد لأن ذلك وسيلة أو ذريعة لعبادتها ولو بعد حين. والحديث يفيد أن اللعنة ليست مختصة باليهود والنصارى بل تشمل من فعل فعلهم.

وهذا هو مراد رسول الله ﷺ في حديثه، ليحذر بذلك أمته أن تفعل مثلما فعلت اليهود والنصارى فيقع بهم من اللعنة ما وقع بهم

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

ويؤكد رسول الله ﷺ هذا المعنى في كثير من أحاديثه، فقد قال:

«ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

أما بناء المساجد على القبور فقد صرح عامة الطوائف بالنهي عنه للأحاديث الصحيحة، وصرح أصحابنا (الحنابلة) وغيرهم من أصحاب مالك والشافعي بتحريمه. ولا ريب في القطع بتحريمه. وهذه المساجد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين والملوك وغيرهم، يتعين إزالتها بهدم أو غيره. هذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء المعروفين»[2].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) كتاب الزيارة لابن تيمية ص ٣٤.

البراءة والموالاة

إن الله تعالى نهى المؤمنين أن يوالوا المشركين ويظهروا لهم المودة كما هو في الآيات الآتية:

١ ـ قوله تعالى: **﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء﴾**[١].

٢ ـ قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء، واتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾**[٢].

٣ ـ قوله تعالى: **﴿وبشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً. الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً﴾**.

٤ ـ قوله تعالى: **﴿ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثير منهم فاسقون﴾**.

قال ابن تيمية: الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه مستلزم بعدم ولاية الكفار، وثبوت ولايتهم يوجب عدم الإيمان، لأن عدم اللازم يقتضي عدم الملزوم.

---

(١) سورة المائدة: الآيتان ٥٦ ـ ٥٧.

(٢) سورة المائدة: الآية ٥٨.

٥ ـ قوله تعالى: **﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم...﴾**(١).

٦ ـ قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾**(٢).

٧ ـ قوله تعالى: **﴿ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا، لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون﴾**(٣).

قال بعض العلماء:

فهذه البراءة وهذه الموالاة هي معنى لا إله إلا الله لاشتمالها على إثبات العبودية لله تعالى وحده، ونفيها عمن سواه، وهي حقيقة الإسلام. فالآيات السابقة وغيرها كثير تحكم بكفر من يوالي الكفار والمشركين واليهود والنصارى ويحسن أفعالهم، ولو كان يردد لا إله إلا الله ألف مرة كل يوم وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم.

وقال بعض العلماء: الموالاة نوعان:

١ ـ أن يودهم ويود ما هم عليه من الكفر ويطمئن إلى ذلك ويرضى به فهذا كافر بلا شك.

٢ ـ أن يودهم لغرض دنيوي مع كراهته لما هم عليه وتضليلهم، فهذا قد أتى كبيرة من الكبائر وهو على خطر.

---

(١) سورة المجادلة: الآية ٢٢.
(٢) سورة المائدة: الآية ٥١.
(٣) سورة المائدة: الآية ٨٠.

اتباع غير شرع الله

قال تعالى: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾[1]. عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه لما بلغته دعوة رسول الله ﷺ فرّ إلى الشام وكان قد تنصر في الجاهلية فأسرت أخته وجماعة من قومه. ثم مَنَّ رسول الله ﷺ على أخته وأعطاها أموالاً وأكرمها، فرجعت إلى أخيها فرغبته في الإسلام وأن يقدم على رسول الله ﷺ، فقدم عدي المدينة، وكان رئيس قومه طيء وأبوه حاتم السخي المشهور، فدخل على رسول الله ﷺ وفي عنقه صليب من فضة وسمع رسول الله يقرأ قوله تعالى:

﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾.

فقال عدي: إنهم لم يعبدوهم.

فقال ﷺ: «بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام، فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم»[2].

ولقد كان عدي بن حاتم يتصور أن العبادة هي الركوع والسجود فبين له الرسول ﷺ معنى العبادة وأن من العبادة كذلك الحكم بما أنزل الله والتلقي منه لما حل وما حرم. وأن طاعة الأحبار والرهبان

---

(١) سورة التوبة: الآية ٣١.

(٢) رواه أحمد والترمذي، وقال حديث حسن.

في التحليل والتحريم بعكس ما أنزل الله هي عبادة لهم وإشراك بالله. لأن التشريع بيد الله فهو الذي يحرم ويحلل. وأمر الله عباده أن يسجدوا له ويركعوا ويسبحوه وأن يتبعوا ما أنزل إليهم من الحلال والحرام وأخبرهم بأن الإسلام لا يتحقق إلا بالأمرين معاً في نفس الوقت فقال تعالى: **﴿لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون﴾**(١).

وقال تعالى: **﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون﴾**(٢).

فتبين من الآية الأولى: أن السجود لغير الله تعالى ينفي العبادة.

ومن الآية الثانية: عدم اتباع ما أنزل الله وهو مرادف لاتباع المشركين من دون الله للأولياء.

وقال تعالى: **﴿وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا، ولا حرمنا من دونه من شيء. كذلك فعل الذين من قبلهم، فهل على الرسول إلا البلاغ المبين﴾**(٣).

فالمشركون أنفسهم قد حددوا الشرك الذي هم فيه بأمرين:

١ ـ العبادة بالركوع والسجود لغير الله تعالى.

٢ ـ التحريم والتحليل بغير ما أنزل الله.

وقد حاولوا تبرير شركهم بنوعيه بأنه راجع إلى مشيئة الله عز وجل.

فكل من رضي بغير شرع الله وكل من رفع مبدأ أو راية خارجة

---

(١) سورة فصلت: الآية ٣٧.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٣.

(٣) سورة النحل: الآية ٣٥.

عن الإسلام لم يأذن بها الله فهم واقعون في هذا الشرك شرك الاتباع والطاعة، فهم جميعاً يعبدون أرباباً من دون الله، وإن كانت غير محسوسة.

ومن ينادي بتفضيل من هو من قومه وإن كان كافراً فاسقاً على مؤمن ملتزم بأحكام الإسلام لأنه من غير قومه فهذا هو الضلال البعيد.

كما قال شاعرهم:

سلام على كفر يوحد بيننا وأهلاً وسهلاً بعده بجهنم

وأترك التعليق للقارىء.

وهكذا وقع في الشرك من دعا إلى تغيير شرع الله أو تبديل بعض النصوص حتى تكون ملائمة لهذا العصر، فمثلاً قضية عقوبة الزنا يدعون للنظر فيها، وهكذا شرب الخمر، حتى نبدوا في نظر أوروبا متحضرين مسايرين، فالله جل جلاله الذي أمرنا أن نعبده بالسجود والركوع والحج والصيام، أمرنا كذلك أن نعبده ونطيعه بتنفيذ شريعته والتقيد بحلاله وحرامه فاعتبر مخالفته في الأمرين شرك. قال تعالى:

﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾[1]، فعلينا أن نكون على حذر وبصيرة ونحن في وسط هذا الشرك الذي عم الأرض الإسلامية، وان نجتهد أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً فنحلل ما حرم الله ونحرم ما أحل الله، أو أن نرضى بذلك، فيجب أن نكره هذه التشريعات بقلوبنا إن وجدت، وذلك أضعف الإيمان، لكي نتبرأ من هذا النوع من الشرك بالله تعالى.

---

(١) سورة الشورى: الآية ٢١.

الابتداع في الدين

حكم الابتداع في الدين

قال تعالى في كتابه الحكيم: ﴿**وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**﴾(١).

قال الرسول ﷺ فيما يرويه أبو داود عن العرباض بن سارية قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه، فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن كان عبداً حبشياً فإنه من يعش بعدي فسيرىٰ اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»(٢).

إن الشريعة الإسلامية قد جاءت كاملة لا نقص فيها، واضحة لا غموض فيها، شاملة لجميع مجالات الحياة، مرنة تصلح لكل زمان ومكان وللناس عامة. إن وجود هذه الخصائص لشريعة الإسلام تدلنا دلالة ناصعة على أنها من عند الله الملك الواحد الأحد العليم

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٥٣.

(٢) رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

الحكيم. فهو له وحده الكمال المطلق، وهو العالم بأحوال الخلق وهو الخالق لكل شيء، إذن فهو أعرف بخلقه من غيره. فله وحده أن يشرع لمخلوقاته ما يشاء يسيروا عليه في حياتهم. وعلى هذا الأساس فلا يجوز لأحد أن يشرع شيئاً لأن ذلك إشراك بالله في أمره سبحانه وتعالى.

﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم﴾[1]، فكل شيء يستحدث في الدين على شريعة الله في الأرض، هو بدعة وضلالة وتشريع من دون الله سبحانه وتعالى. هنا سؤال يفرض نفسه وهو: لأي سبب ترى هذا الإنسان يأتي بالشيء الجديد من عنده ليضيفه على الدين فيكون له منزلة الشريعة في نفوس المسلمين؟ هل أن دين الله ناقص في شريعته بحاجة إلى إضافات لإكمالها؟ أم أنه يحتوي على أشياء زائدة تجب إزالتها أو تغييرها على الأقل؟ وهل يعقل أن الله سبحانه وتعالى يغفل عن النقص وينتبه له العبد المخلوق القاصر؟ ثم بعد هذا كله ما هي الحكمة من قوله تعالى: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾**[2]؟ إن أغلب المبتدعين يبتدعون غلواً في الدين لا بسبب نقصٍ فيه. ولكن الزائد عن الحد بمنزلة الناقص عنه، فلا فرق بين الزيادة والنقص في الدين.

إن الغلو من أهم الوسائل التي تؤدي بالإنسان إلى الانحراف والانزلاق. ألا ترى المريض يوصيه الطبيب بجرعات معينة من الأدوية في الأوقات المحدودة فإذا ما سار المريض على المنهاج الذي رسمه له الطبيب فلا شك سينتفع. أما إذا خالف المريض طبيبه بأن زاد أو

---

(١) سورة الشورى: الآية ٢١.

(٢) سورة المائدة: الآية ٣.

نقص في عدد الجرعات، فسيكون المرض مضاعفاً ونتيجته خطرة جداً، ولا تكون قد أفادته تلك الأدوية، وإنما انقلبت ضده. وقد ذكر الله تعالى لعباده كثيراً عن هذا الداء الخطير الذي هو الغلو، وضرب لنا أمثلة واقعية من الأمم الغابرة التي خسرت أمجادها وذهبت شخصيتها لغلوها وتلاعبها بالدين. هؤلاء هم النصارى لما غالوا في حب عيسى عليه السلام خرجوا عن الحدود، ولما غالى اليهود ضرب الله عليهم الذلّة والمسكنة وحرم عليهم الحلال قال تعالى: **﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق﴾**[1]. وقال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا ما أحل الله لكم ولا تعتدوا﴾**[2].

إن المبتدع في الدين يعطى منزلة ليست له فإن المشرع الفرد لعباده جميعاً هو الله عز وجل، فكيف يجيء أحد مهما كانت منزلته ونيته ليضم إلى أحكام الله أحكاماً من عند نفسه.

روى الثعلبي عن عدي بن حاتم قال أتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب قال ﷺ: «يا عدي اطرح عنك هذا الوثن، وسمعته يقرأ في سورة التوبة **﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾** فقلت يا رسول الله ما عبدوهم. فقال: ألا يحرمون ما أحل الله ويحلون ما حرم الله ويتبعونهم، فقلت بلى قال تلك عبادتهم»[3]. إذا كنت تحب الله ورسوله وتؤمن بهما، فما عليك إلا أن تتبع أوامرهما وتطبق شريعة الإسلام وإلا فلا صحة لادعائك، ولست بمؤمن لأن الإيمان كما يقول الحسن البصري: ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل.

---

(١) سورة النساء: الآية ١٧١.
(٢) سورة المائدة: الآية ٨٧.
(٣) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

واقرأ قول الله تعالى: ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدون في أنفسهم حرجاً مما قضيت**﴾[1].

وقال تعالى: ﴿**ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولىٰ، ونصله جهنم وساءت مصيراً**﴾[2].

حذار يا مسلمون من الابتداع في الدين، فإنه ليس بحاجة إلى ذلك وإنما اتبعوا فإن في اتباع الله ورسوله فلاح فقال سبحانه وتعالى:

﴿**وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون**﴾[3] وقال: ﴿**ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً**﴾، وأي شيء أشد عصياناً من إضافة إلى شرع الله أو حذف منه. يقول الرسول ﷺ: «ما تركت من شيء يقربكم إلى الجنة إلا وقد حدثتكم به،وما من شيء يبعدكم عن النار إلا وقد حدثتكم به».

وقال الإمام مالك بن أنس رحمه الله: (من ابتدع في الإسلام بدعة، ثم يراها أنها حسنة، فقد زعم أن محمداً خان الرسالة لأن الله تعالى يقول: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾[4].

---

(١) سورة النساء: الآية ٦٥.
(٢) سورة النساء: الآية ١١٥.
(٣) سورة آل عمران: الآية ١٣٢.
(٤) سورة المائدة: الآية ٣.

كل بدعة ضلالة

بعد أن عرفت أخي القارىء فيما مضى خطر البدعة في الإسلام بدليل القرآن والسنة والآثار، أظنك الآن أصبحت إلى جانبنا لمحاربة هذه البدع والخرافات سوية فإن يد الله مع الجماعة.

يحتج بعض المبتدعين لتبرير فعلتهم بقول الرسول ﷺ: «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها... ومن سَنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها...» الحديث[1]، فعلى هذا يقسمون البدعة إلى قسمين:

بدعة حسنة وبدعة سيئة.

إن شريعة الله كما ذكرنا كاملة فكل بدعة فيها إنما هي عصيان لله وانحراف عن الصراط المستقيم، ولذلك قال رسول الله ﷺ «كل بدعة ضلالة»[2] ولم يستثن قسماً منها.

أما الحديث السابق الذي احتج به المبتدعون فيشمل أمور الدنيا، إذ لا مانع من الابتداع فيها. وإنما ذلك مأمور به. فمن المستحب جداً أن نبتدع ما نشاء ونخترع من الآلات والأدوات والوسائل التي تفيدنا في حياتنا حتى أن نبينا محمد ﷺ قد أطلق لأمته

(١) صحيح مسلم.

(٢) رواه مسلم.

العنان في الابتداع الحسن في الأمور الدنيوية فقد كان يقول لأصحابه «أنتم أعلم بأمور دنياكم»(١).

وهكذا فلا مانع من الاختراعات الصناعية، ولا مانع من تكييف الملابس حسب الفصول والأزمنة ما لم تخرج عن حدود الشرع، ولا مانع من تبديل البنايات عن البنايات التي كانت في عصر الرسول ﷺ، فالبدعة في الأمور الدنيوية حسنة، ويجب علينا أن نشجع المسلمين عليها، فيقوم من بينهم من يصنع الطيارة والسيارة والدبابة والأسلحة يرهبون بها عدو الله وعدوهم وهذا هو الذي أمرهم به كتابه: **﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾**(٢) ولكن الذي يحير هو أننا اجتنبنا البدعة في ما هو ناقص وحرمناها، وأصبحنا نبتدع في ما هو كامل وهو الدين الذي اختاره الله. ولهذا أصبحنا شر أمة أخرجت للناس بعد أن كنا خير أمة أخرجت للناس، وأصبح أعداؤنا الذين برعوا في البدعة الدنيوية يهددوننا بالفناء بين عشية وضحاها.. في حين نحن ننام نوماً عميقاً عن الابتداع في تلك البدع وننشط في الابتداع في الدين. المسلمون في هذه الحالة ولا نرى من يقوم اعوجاجهم ويهديهم الصراط المستقيم ويبين لهم الدين الصحيح. وهنا يقع العبء الثقيل على علماء الأمة بالدرجة الأولى، لأنهم ورثة الأنبياء ولأنهم دعاة الخير والفضيلة وقادة الأمة في الفكر والتوجيه، وهل من غيرهم أشد حرصاً على إصلاح المجتمعات وإحداث التبديل من كل جانب، ولعل هذا هو السر في قول الرسول ﷺ: «صنفان من أمتي إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس. العلماء والأمراء».

إن هذه البدع والخرافات هي التي ألهت المسلمين عن معين

---

(١) رواه مسلم.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٦٠.

عقيدتهم، وهي التي مهدت للاستعمار والصليبية والصهيونية أن تسلب منا عزتنا وكرامتنا وديارنا وخيراتنا.

عودوا إلى كتاب الله وتمسكوا به وافعلوا ما أمركم الله به وانتهوا عما نهاكم عنه.

وبعد هذا، نؤكد أن ما ذهب إليه بعض الناس من تقسيم البدعة إلى حسنة وقبيحة هو تقسيم باطل للأدلة الآتية:

١ ـ قال تعالى: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾[١] فلم يلتحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى إلا والدين كامل في العبادات والمعاملات والأخلاق لا يحتاج إلى زيادة أبداً.

٢ ـ إن التشريع من حق الله تعالى وليس من حق البشر فإذا جاز أن يزاد في الدين جاز كذلك النقص منه.

٣ ـ قال تعالى: ﴿**أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله**﴾[٢].

٤ ـ قال الرسول ﷺ: «كل بدعة ضلالة»[٣] ولفظ كل للعموم وأين مخصص هذا العموم حتى نجيز بعض البدع.

قد يقال: المخصص هو حديث «ما رآه المسلمون حسناً فهو حسن عند الله».

فيرد أولاً: بأن هذا من كلام ابن مسعود وليس من كلامه ﷺ.

ثانياً: إن أل في كلمة المسلمين إذا كانت للاستغراق أي جميع المسلمين تفيد الإجماع، والإجماع حجة بلا نزاع. وإن كانت أل

(١) سورة المائدة: الآية ٣.
(٢) سورة الشورى: الآية ٢١.
(٣) رواه مسلم.

التعريف للجنس فمعناه يستحسن هذا الأمر قوم ويستقبحه آخرون وهذا هو الواقع تجاه أكثر البدع، وعلى هذا فقد سقط الاستدلال بهذا الأثر على جواز تقسيم البدعة إلى دينية ودنيوية.

٥ ـ قال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[١].

٦ ـ وقال ﷺ: «إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار»[٢].

٧ ـ قال ﷺ:

«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين عضوا عليها بالنواجذ»[٣].

٨ ـ وقال ﷺ:

«إن الله حجب التوبة عن صاحب البدعة حتى يدعها».

٩ ـ قال عبد الله بن مسعود:

«اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم».

١٠ ـ وقال حذيفة بن اليمان:

«كل عبادة لم يتعبدها رسول الله ﷺ وأصحابه فلا تعبدوها فإن الأول لم يدع للآخر مقالاً».

١١ ـ وقال ابن عمر:

«كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة».

١٢ ـ وقال مالك بن أنس:

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه أبو داود.
(٣) رواه أبو داود.

من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً خان الرسالة لأن الله تعالى يقول في القرآن: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾[(١)].

فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً.

١٣ ـ قال غضيف:

«لا تظهر بدعة إلا ترك مثلها سنة».

١٤ ـ دخل أبو موسى الأشعري المسجد بعد وفاة رسول الله ﷺ فوجد حلقاً وفي كل حلقة رجل يقول: كبروا مئة. فيكبرون مئة. ثم يقول لهم هللوا مئة فيهللون مائة ثم يقول لهم: سبحوا مئة فيسبحون مئة يعدون ذلك بحصى معهم.

فرفع ذلك إلى ابن مسعود فقام إليهم وأنكر عليهم وقال: «عدّوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء. ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم، هؤلاء أصحابه متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل وآنيته لم تنكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد ﷺ أو مفتحوا باب ضلالة؟ قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير.

قال: وكم من مريد للخير لم يصبه.

١٥ ـ قال الحسن البصري:

«لا تجالس صاحب بدعة فيمرض قلبك».

---

(١) سورة المائدة: الآية: ٣.

الابتداع في ذكر الله

هناك عادة لبعض من الذين يدعون عبادة الله وذكره أن يعقدوا ما يسمون بحلقات الذكر يرقصون فيها وينشدون ويضربون الدفوف ويستغيثون بغير الله بصوت عال قائلين: جداه جداه! ومن العجيب أني حضرت بعض حلقاتهم فسمعتهم يستغيثون صارخين: يا بير أي جداه. وإذا سكروا بالأنغام والأصوات تأتيهم الشياطين وتتلبس بهم فيخلعون ملابسهم ويضربون بطونهم بالسيف أو يذبحوا أنفسهم أو يأكلوا الزجاج أو النار أو يكهربون أجسامهم ويدخلون بأجسامهم النار أو يأخذ أحدهم الحديد المحمى فيضعه على جسمه. ولا يمكن أن تحدث هذه الأشياء عند قراءة القرآن أو الصلاة لأن هذه من العبادات الشرعية التي تطرد الشياطين، ولو كان صحيحاً ما يدعون فلماذا لا يقاتلون اليهود الذين دنسوا المسجد الأقصى وهتكوا المسلمات وقتلوا الصبيان والشيوخ، ولكن هيهات هيهات. فالشياطين هي التي تساعدهم في أعمالهم وتجتمع حولهم في حلقاتهم لأنهم أعرضوا عن ذكر الله وأشركوا بالله، واستغاثوا بجدهم وصدق الله العظيم: **﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين وإنهم ليضلونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون﴾**.

ولا عجب من معاونة الشياطين لهم في أفعالهم الخارقة، فإن الشياطين عندها طاقات قوية فقد طلب سليمان من الجن أن يأتوه بعرش بلقيس فآتوه قبل أن يقوم من مقامه.

وذكر ابن بطوطة وغيره أنه شاهد في الهند من المجوس والهندوس أكثر من ضرب السيوف والشيش وما شابه هذه الخوارق مع أنهم كفار مائة في المائة. إذن فالموضوع ليس كرامة ولا ولاية بل هو من أعمال الشياطين المتلبسين بهم فلا يتأثروا بالضرب والحرق كمثل المصروع حينما يضرب لا يحس، لأن الضرب لا يقع عليه نفسه بل يقع على الشيطان المتلبس به. وقد ورد عن ابن تيمية أنه رأى أناساً يطيرون من جبل إلى جبل، ولكنهم لما تابوا إلى الله لم يعودوا يستطيعون الطيران، مما يدل على أن الشياطين كانت تحملهم لقاء طاعتهم لها[1].

(١) انظر الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص١١٣.

نماذج من البدع المختلفة

ليت شعري ما بال المسلمين اليوم قد غفلوا وخادعوا أنفسهم فيزعمون أن البدع قد أصبحت أمراً عادياً ولا ضرر منها ما دامت حسنة. فأي ضرر في زيادة بعض الصلوات المسنونة أو العمل ببعض الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة في المرغبات التعبدية.

وأي ذنب من ضرب السيوف وأكل النار أمام الناس؟ إن القوم ما دروا أن الإسلام بكافة تعاليمه ومبادئه في الحياة جسر إلى حياة أفضل وأن أي انحراف أو انزلاق عن هذا الجسر سيوقع المرء في الهاوية في الدنيا والآخرة.

حدثني بعض من أثق به أن شيخاً بحضوره سأل أحد مريديه وكان بدرجة (خليفة): أيهما أفضل: النبي ﷺ أم الغوث (عبدالقادر الجيلاني) يقول الصديق: وقف المريد محتاراً يتفكر لا يدري ما يقول، وأخيراً أجاب بأن كليهما فاضلان. هكذا ضاع بعض المسلمين بين الخزعبلات والخرافات والبدع الضالة، تاركين بذلك سنة المصطفى ﷺ في الأذكار والصلوات والسنن وغيرها.

والآن إليك أمثلة ونماذج من بدع المبتدعين على اختلاف أنواعهم لتعرف الإسلام الصحيح من تلك التشويهات:

١ ـ من عادة بعض الناس أن يذكروا قياماً يحركون رؤوسهم يميناً وشمالاً وبأعلى صوتهم وفي بعض الحالات يرقصون ويتغنون ببعض المقاطع من أذكارهم وأورادهم.

٢ ـ إيراد أسماء بعض المشايخ والرجال في ذكرهم كالشيخ عبد القادر الجيلاني والرفاعي وسلسلة نسب شيوخهم.

٣ ـ أثناء ما يسمونه ذكراً يضربون بطونهم بالسيوف ويلعبون بالنيران ويأكلون شفرات الحلاقة والمصابيح الزجاجية باسم السيد الرفاعي.

٤ ـ ينادون بعض الأموات في الحوادث ويستغيثون بهم.

٥ ـ التوبة من الذنوب على يدي الشيخ وتعليم المريد سلسلته النسبية، يقول صاحب كتاب **تنوير القلوب** (ينبغي للمريدين أن يعرفوا نسبة شيخهم ورجال سلسلته كلها من مرشدِهم إلى النبي ﷺ، لأنهم إذا أرادوا أن يطلبوا المدد من روحانيتهم وكان انتسابهم إليهم صحيحاً حصل لهم المدد من روحانيتهم، فمن لم تتصل سلسلته إلى الحضرة النبوية، فإنه مقطوع الفيض ولم يكن وارثاً لرسول الله ﷺ ولا تؤخذ منه المبايعة والإجازة)[1].

من قال بهذا غير هؤلاء الشيوخ؟ هل ورد به نص من قرآن أو سنة أو أثر؟ لا وألف لا! إذن فليعد هؤلاء إلى صوابهم وليتركوا عبادة الأشخاص فإن الأشخاص يموتون والله حي لا يموت وكذلك شريعته.

٦ ـ يذمون الدنيا ويخرجون إلى الجبال والصحارى لأنهم قد سمعوا فلان الصالح ذهب إلى الجبال وعاش وحيداً، وفلان ترك أهله وفلان عاش كذا من السنين وهو لا يأكل إلا خبز الشعير والماء وآخر قد حرم على نفسه الفاكهة واللحم، ظناً أن هذه الأفعال من الزهد.

٧ ـ ومن هؤلاء من إذا قرأت عنده القرآن كله لا يتأثر وإذا حدثته بمناقب شيخ فلاني أو أحد الصالحين سمعت منه الصيحات والويلات ورأيت الدموع تسيل على الخدود.

---

(١) تنوير القلوب ص ٣١٨.

٨ ـ إن مشايخهم لا ينصحونهم بأمور دينهم وفرائضه ومبادئه وأولوياته الأخرى وإنما بدلاً من ذلك يذهبون إلى سرد الحكايات عن مناقب الشيوخ وأهل بغداد والغوث والحية وموسى والجبل وكرامات الشيوخ.

٩ ـ يورد صاحب كتاب تنوير القلوب جملة من آداب المريد مع شيخه انقلها هنا ليقف القارىء عليها، ويعرف مدى الجهل الذي وصل إليه هؤلاء القوم(١):

أ ـ أن يكون مستسلماً منقاداً راضياً بتصرفات الشيخ يخدمه بالمال والبدن، لأن جوهر الإرادة لا تتبين إلا بهذه الطريقة، ووزن الصدق والإخلاص لا يعرف إلا بهذا الميزان.

ب ـ أن لا يعترض عليه فيما فعله ولو كان ظاهره حراماً، ولا يقول لِمَ فعلت كذا؟ لأن من قال لشيخه لِمَ لا يفلح أبداً، فقد تصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر وهي محمودة في الباطن كما وقع لموسى مع الخضر.

ج ـ أن يسلب اختيار نفسه باختيار شيخه في جميع الأمور ومن علامة المريد الصادق أن لو قال له شيخه أدخل التنور دخل.

د ـ ولا يتزوج إمرأة أحبها شيخه أو طلقها أو مات عنها.

١٠ ـ إحداث التفرقة بين المسلمين فهذا قادري له كذا من الأوراد وذاك نقشبندي له من الأوراد ما يخالف القادري. أتذكر مرة في أحد المساجد قام بعض المتصوفة على مؤذن المسجد، لأنه لا يهلل بعد الصلوات مئة مرة وبصوت عال كالقادرية وإنما بدلاً من ذلك

---

(١) تنوير القلوب ص ٣١٩.

يهلل عشر مرات كالنقشبندية وادعوا أننا نعيش في منطقة قادرية ولا دخل للنقشبندية فيها.

١١ ـ اختراع أذكار وصلوات حسب اجتهاد شيخ الطريقة فهو أدرى بالنفوس وما يصلح لها من أذكار وهو كالطبيب. هكذا يزعمون.

١٢ ـ من أقبح البدع بدعة صلاة الظهر بعد صلاة الجمعة بحجة نقصان العدد عن الأربعين أو أن المأمومين قد لا يحسنون القراءة أو تعدد المساجد التي تقام فيها صلاة الجمعة.

١٣ ـ رفع الصوت بالذكر مع الجنازة فهو بدعة محرمة كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا كانوا في جنازة كأنما على رؤوسهم الطير من الخشوع.

١٤ ـ التعصب المذهبي من البدع الشنيعة، فلا يجوز لمسلم سمع أو رأى حديثاً صحيحاً أن يرده بحجة أنه مخالف لمذهبه. لأن الأئمة الأربعة أجمعوا على الأخذ بالحديث الصحيح، وترك كل قول يخالفه.

١٥ ـ ادعاء أن الولي أو الشيخ بعد وفاته تتعلق روحه بمريديه فيحصل لهم ببركته أنوار وفيوضات. ويدعي بعضهم: أن الولي يكون اعتناؤه باللائذين به بعد موته أكثر من اعتنائه بهم في حياته، لأنه في حياته كان مشغولاً بالتكليف وبعد موته طرحت عنه الأعباء.

١٦ ـ تعظيم بعض القبور وبناء المساجد عليها وشد الرحال للصلاة في تلك المساجد.

١٧ ـ الحلف بالآباء، أو يحلف بقبورهم إذا كانوا موتى أو يحلف برؤوسهم إذا كانوا أحياء.

بدعة
زهد المتواكل

قال ابن الجوزي في كتابه تلبيس إبليس[1]:

«قد سمع ذلك الجاهل ذم الحياة الدنيا وأنها لهو ولعب وتفاخر وتكاثر في الأموال والأولاد وأن الآخرة هي دار القرار. وسمع من الأحاديث النبوية بأن الدنيا لا تسوىٰ عند الله جناح بعوضة، وأنها ملعونة وملعون ما فيها إلا من ذكر الله، وكذلك سمع فضل الفقر والفقراء ومرتبتهم في الجنة، وأن الرسول وأصحابه كانوا لا يلبسون إلا البالي ولا يأكلون إلا الخشن». ثم يمضي فيقول:

«من هنا يظن بعض المساكين من الناس أن لا نجاة له إلا بالفقر وترك اللباس الجيد، وعدم أكل اللذيذ الطيب، فيخيل إليه أن يذهب إلى الجبال أو الصحارى بدون زاد صائحاً كالمجنون تاركاً أهله وعياله وأصدقائه اقتداء كما يظن بالسلف الصالح من الصحابة والتابعين وبعض المتأخرين من الشيوخ الصوفية، وظناً منه أن ذلك هو الزهد الحقيقي الذي يحبه الله ورسوله».

يا حسرة على هؤلاء المساكين! إنهم لم يفهموا الإسلام فهماً صحيحاً وفتحوا بذلك للأعداء ثغوراً لينالوا منا ومن ديننا ويتهموننا بالوحشية والهمجية.

---

(١) تلبيس إبليس ص٢٥٧ وما بعدها.

إننا لو رجعنا إلى المبادىء الإسلامية الصحيحة ودرسنا القرآن والسنة دراسة موضوعية وتحليلية يتبين لنا عظمة المنهج الإسلامي للحياة. فهو منهج فريد من نوعه لم تشهده البشرية من قبل وسوف لن تشهد له مثيلاً من بعد أبداً.

كان أحرى بنا أن نرد على شبهات الملحدين والذين يجاهرون العداء للإسلام بدون لبس أو مواراة، ولكن بدلاً من ذلك اضطررنا إلى تفنيد شبهات بعض من يسمون أنفسهم بالمسلمين بل يعتبرون أنفسهم في مقدمة الإسلام.

إن الإسلام أمر أتباعه بالعمل لأجل أن يعيشوا في عزة وهناء غير متطلعين إلى ما في يد غيرهم. فآيات القرآن الكريم بالمئات وكذلك أحاديث الرسول ﷺ تحث المسلمين على العمل لأجل العيش الرغيد في الدنيا والآخرة. فهاك بعض الآيات في كتاب الله تعالى:

١ ـ قال تعالى: **﴿ومن أحسن قولاً ممّن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾**[١].

٢ ـ قال تعالى: **﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾**[٢].

٥ ـ **﴿وإن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾**[٣].

٦ ـ **﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾**[٤].

٧ ـ **﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا**

---

(١) سورة فصلت: الآية ٣٣.
(٢) سورة الملك: الآية ١٥.
(٣) سورة النجم: الآية ٣٩ ـ ٤٠.
(٤) سورة الأنفال: الآية ٦٠.

الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾[1].

وآيات أخرى كثيرة جداً لا تستوعبها هذه الصفحات القليلة، ومن أراد التوسع فعليه بقراءة كتاب الله وتدبر معانيه والإستعانة بأحد التفاسير المعتبرة.

أما الأحاديث في الموضوع فيكفينا أن الرسول ﷺ كان يستعيذ بالله من الكفر والفقر والكسل والعجز صباحاً مساءً ومن هذه الأحاديث:

١ ـ «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل»[2].

٢ ـ «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وأعوذ بك من عذاب القبر لا إله إلا أنت»[3].

٣ ـ «اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله»[4].

٤ ـ «لأن يأخذ أحدكم أحبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»[5].

٥ ـ «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده،

---

(١) سورة العصر.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه مسلم.
(٤) متفق عليه.
(٥) رواه البخاري.

وإن نبي الله داود ﷺ كان يأكل من عمل يده»[1].

هكذا الإسلام منهج حياة شرعه الله للبشرية لتسير عليه، وهو كذلك واقعي لا يأخذ بالإنسان إلى سماء الخيال، ونظرته إلى الإنسان حسب وجوده وواقعيته على هذه البسيطة. فالإنسان الكادح من أجل لقمة العيش لعائلته كأنما هو يعبد الله وقد مر الرسول ﷺ على رجل يتعبد فسأله عمن يتكفل بطعامه وقضاء حوائجه فقال أخي، فرد عليه ﷺ قائلاً «أخوك أعبد منك».

إن المنهج الإسلامي متوازن في جانبي الحياة الروحي والمادي فالأخذ بقسم منه وترك القسم الآخر أو التلاعب فيه بالزيادة أو النقصان عمل ليس من الإسلام ولا يرتضيه الله ورسوله، كما قال تعالى:

﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب﴾[2].

إن أي قول يحبب الفقر إلى الناس أو يرغبهم في الضعف في الحياة، لا شك إنه قول فاجر يراد به هدم المبادىء الإسلامية وتشجيع الظلم والطغيان وأكل أموال الناس بالباطل، وتوسيع التباين الطبقي وزرع الحقد والبغضاء بين البشر وتسخير الفقراء وإذلالهم تحت جبروت الأغنياء والظالمين وهو قبل كل شيء افتراء على الإسلام باسم الإسلام.

إن الإنسان الذليل الذي لا يجد لقمة العيش ثم يرضى بتلك الحالة ويقول هذه قسمة، ومن لا يرضى بما قسم الله له سيكون يوم

---

(١) رواه البخاري.

(٢) سورة البقرة: الآية ٨٥.

القيامة في كذا وكذا من النيران والعقوبات، وإن القناعة أجرها كذا وكذا عند الله مما يجعله يتقاعد عن العمل والخروج وحمل أعباء الحياة. إن هذا السلوك في الحياة كان دعاته بل وعموده بعض المسلمين الجهلة الذين شجعوا الناس على الكسل وأداروا وجوه الناس عن الأعمال التي تغرهم في الدنيا إلى المسبحات الطويلة، وإلى كمية كبيرة من الأوراد والأذكار والوظائف ودلائل الخيرات والجلجوتيات السريانية في حين تركوا الظالمين يعبثون في الأرض فساداً وخراباً ويستغلون الناس لمصالحهم الخاصة. وهذه من الأسباب التي أضعفتنا من الداخل فأصبحنا لا نقدر حتى على الدفاع عن أنفسنا أمام أي مهاجم.

وهنا قد يعترض بعض الناس ممن لم يفهموا حقيقة الإسلام فيقولون: إن طبيعة الدين هي التي تربط قلوب الناس بالآخرة مما يجعلهم تاركين للدنيا وغير مهتمين بها وبما يصيبهم من كوارثها ومصائبها.

يرد على هذا الاعتراض ويجاب عنه: بأن الدنيا ليست هي الغاية الأولى للمسلم، ولكنه يعتبرها وسيلة لغاية كريمة وأن القرآن الكريم قد جعل مباهج الدنيا ونعيمها من حق المؤمنين وقد يشارك فيها غيرهم وسوف ينفردون بنعم الآخرة.. قال تعالى:

﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾[1].

وكل ما ورد من أحاديث ظاهرها الزهد في الدنيا وفضيلة تركها وترك السعي من أجلها وترك مباهجها، لها ملابساتها الخاصة التي لا تتجاوز حدودها. وقد يقصد بها غالباً لفت نظر المؤمن عن الاشتغال

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٣٢.

بشهواتها المحرمة أو التعلق بها على أنه حاضر لا مستقبل بعده. أن الإسلام يحث على محاربة الفقر بكل أشكاله، وأن نعمل لعيش عزيز اقتداء بالأنبياء وأصحابهم. وعلينا أن نحارب كل صيحة تجمل الفقر بحجة الزهد وحب الآخرة.

إن الزهد أصبح معناه المنتشر بين الناس ترك الطيبات من النساء والمأكولات والمشروبات وترك الاستمتاع بمباهج الحياة المباحة من لباس وزينة. إذا نظرنا ولو بسرعة إلى الكتاب والسنة لظهر لنا خطأ هذا المفهوم في الزهد الذي شاع بين الناس وخاصة جهلة المتصوفين.

إن الإسلام أباح بل وأوجب في كثير من الأحيان الزواج بواحدة أو أكثر. ويكفي أنه من سنته ﷺ وسنة الصحابة والتابعين. أما المأكولات فقد ثبت أن الرسول ﷺ حينما كان يتوفر لديه طعام يأكل ما لذ وطاب من اللحوم، وكان يحب العسل ويشربه، وكان ﷺ يقول: «حبب إليّ من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة»، وقال تعالى: **﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق. قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا، خالصة يوم القيامة﴾**(١).

وقال ﷺ: «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»(٢).

وأمرنا الإسلام بالعمل لأجل العيش، وقال ﷺ: «إن الله يحب المؤمن المحترف»(٣).

إذن فالمقصود بالزهد في الإسلام هو الزهد في الحرام والزهد عما في أيدي الناس وعدم التطلع إليهم بالطمع والحسد والحقد.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٣٢.

(٢) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

(٣) أي الذي يأكل من عمل يده.

بدعة الموالد

من المسلمات التي لا ريب فيها أن الموالد لم تكن موجودة في زمن الرسول محمد ﷺ ولا في زمن خلفائه الراشدين ولا في العصر الأموي ولا في العصر العباسي، وإنما الثابت والمحقق لدى المؤرخين أن أول من أحدث الاحتفال بمولد المصطفى ﷺ هو الملك المظفر أبو سعيد الإربيلي في مدينة إربيل في القرن التاسع. في هذا التاريخ بدأت هذه العادة تنتشر إلى أن وصلت حداً اعتبرت فيه عبادة. وبمرور الزمن أصبحت لهذه الموالد شروط ومراسيم لا يقبلها الله إلا بتوافرها وذلك مثل قراءة كتاب (المولد النبوي) وبعض الأطعمة الخاصة وحضور أحد المشايخ أو السادة.

لا شك أن كل قارىء يعرف ماذا يفعل الناس من منكرات وقبائح عندما يجتمعون في بعض المساجد في بعض البلدان نساءً ورجالاً شباباً وشيوخاً وأطفالاً، مختلطين متماسين، فكيف يقبل الشرع هذا. ولا داعي للتفصيل، لأن الحر تكفيه إشارة. وإذا ما حدثت أحداً من أولئك المبتدعين الذين يحسنون هذه البدعة، تراه يسارع إلى الجواب المصطنع بأن هذه الموالد فيها حلقات الذكر والصلاة والسلام على رسول الله وتلاوة القرآن وإطعام الفقراء وإعلاء سمعة الإسلام. قد شاهدت وحضرت كثيراً من الموالد في المساجد ولكن ما وجدت في مراسيمها ومواد إحيائها شيئاً يتصل بالإسلام الصحيح، فحلقات الذكر تنافي الذكر الإسلامي المشروع في القرآن والسنة حيث يذكرون أسماء بعض الأشخاص من الصالحين بزعمهم مع اسم الله، ويضربون

الحديد في الأجسام ويلعبون بالنيران ويأكلون الزجاج وشفرات الحلاقة كل هذا باسم السيد الشيخ أحمد الرفاعي.

ومن مواد إحياء المولد النبوي في ليلة المولد، الثاني عشر من ربيع الأول، بل ومن الشروط الأساسية لصحة الموالد كل الموالد في أي وقت وأي شهر كان وخاصة المنذورة، قراءة كتاب من كتب المولد النبوي وما أكثرها، ولكن الكتاب الأفضل عندهم هو مولد ابن حجر. نعم قراءة المولد هي المصيبة العظمى والكبيرة الكبرى، لأنها ليست إلا افتراءات وأكاذيب سبكت في أسلوب جميل جذاب وأسندت إلى الرسول ﷺ وإلى الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين وهم بريئون منها كل البراءة بعيدون عنها بعد المشرقين. لأنه كما ذكرنا الاحتفال بالمولد النبوي قد وجد لأول مرة في القرن السابع الهجري بالتأكيد.

وإليك الآن مقتطفات من نصوص كتاب المولد النبوي لابن حجر الذي لا يصح المولد النبوي إلا بقراءته أو بقراءة كتاب آخر مثله:

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه (من أنفق درهماً على قراءة مولد النبي ﷺ كان رفيقي في الجنة).

وقال عمر رضي الله عنه: (من عظم مولد النبي فقد أحيا الإسلام).

وقال عثمان بن عفان: (من أنفق درهماً على مولد النبي ﷺ فكأنما شهد بدراً وحنيناً).

وقال علي كرم الله وجهه: (من عظم مولد النبي ﷺ وكان سبباً لقراءته لا يخرج من الدنيا إلا بالإيمان ويدخل الجنة بغير حساب).

وقال فخر الدين الرازي: (ما من شخص قرأ مولد النبي ﷺ

على ملح أو بر أو شيء آخر من المأكولات إلا ظهرت فيه البركة وفي كل شيء وصلت إليه، خاصةً المأكول، فإنه يضطرب ولا يستقر حتى يغفر الله لآكله).

وقال الإمام الشافعي: (من جمع لمولد النبي ﷺ إخواناً وهيأ طعاماً وأخلى مكاناً وعمل إحساناً وصار سبباً لقراءته بعثه الله يوم القيامة مع الصديقين والشهداء والصالحين).

فإذا كان صحيحاً إسناد هذه الأقوال إلى هؤلاء الرجال، وإذا كان صحيحاً هذا الأجر العظيم في إقامة الموالد، فليت شعري ما الذي منعهم من إقامتها هم بأنفسهم وهم الذين كانوا يتحرون سنن الرسول في مشارق الأرض ومغاربها؟ أو بالأحرى لماذا لم يأمرهم الرسول بذلك؟ وهل يعقل أنهم عرفوا ذلك الخير ولم يعملوا به ولم يبشروا به؟.

ولم ينقل راوٍ من الرواة شيئاً صحيحاً أو حسناً أو مرسلاً حتى ولو ضعيفاً في هذا الباب.

وهنا نعلن التحدي لبعض من يدعي العلم والفقه ممن يمارسون هذه العادة ويؤيدون هذه البدعة.

وأنا أعرف هنا حق المعرفة أنه ستوجه إليَّ السهام من كل جانب ويرمونني بشتى الاتهامات، ولكن الله يعلم أننا نبتغي مرضاته وعودة المسلمين إلى الكتاب والسنة وترك ما لم يكن فيهما. ونحن على كامل الاستعداد لمناقشة أي واحد يبغي الوصول إلى الحقيقة بعيداً عن التعصب والجدل.

نحن نقول إنه لمن دواعي زيادة المحبة والألفة بين المسلمين أن يقيم الواحد منهم مأدبة يدعو إليها المسلمين من مختلف الطبقات وخاصة الفقراء، لا أحد ينكر هذا أبداً وإنما الذي ينكر هو قراءة كتب

الموالد النبوية كشرط لصحة المولد وحتى يصير الطعام الذي يؤكل شفاء للأمراض. والنقود والعينات من الحبوب التي توضع أمام قارىء المولد تصبح فيها البركة إذا ما خلطت بغيرها، ولكي تتنزل الملائكة في المكان ويزورون الموضع لمدة سنة كاملة على أثر المولد وغير ذلك من الخزعبلات.

هذا ولا حرج من إقامة الاحتفال بيوم المولد النبوي يقرأ فيه القرآن وتلقى الكلمات والمواعظ والقصائد التي تشيد بعظمة هذا النبي وضرورة عودة المسلمين إلى دينهم والاقتداء بهذا الرسول العظيم والعمل وفق سنته الناصعة وبث التوحيد الخالص وبيان البدع والخرافات والتيارات الأخرى المعادية للإسلام. نعم لا بأس بالاحتفال بالمولد النبوي وبإقامة المآدب إذا روعيت فيها هذه الآداب. أما إذا تجاوزت هذا الحد وقرأت كتب الموالد النبوية وأقيمت حلقات الذكر المزيفة وتضورب بالحديد والنار واختلط الرجال والنساء والشباب والشيوخ، فحرام على المسلمين أن يشهدوا هكذا مناسبة أو أن يقيموها، وحرام عليهم أن يوفوا بنذور من ذلك القبيل.

خاتمة
شبهة مردودة

إن الدعاء والنذر والذبح والاستغاثة والاستعانة والخوف والرجاء والشفاعة والتوكل كلها عبادة يجب أن تكون خالصةً لله وحده ولا تشوبها أية شائبة. وكل هذه الأمور تؤدّى لله تعالى وهو الذي يُعْبَد بفعل هذه الخصال وحده بلا شريك كائناً من كان ومهما كان وكيف ما كان.

وقد يقول بعض الناس من هؤلاء؟ إنا نعلم أن الأولياء والأنبياء والصالحين الذين نستغيث بهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا يشفون مرضانا بأنفسهم ولا ينفعوننا بأنفسهم ولا يضروننا بأنفسهم وإنما نقصد شفاعتهم إلى الله في ذلك لأن لهم عند الله قدم صدق.

فالجواب عليهم أن يقال:

إن هذا هو كان مقصد الكفار في الجاهلية الأولى ومرادهم وليس مرادهم أن آلهتهم تخلق أو ترزق أو تنفع أو تضر بنفسها. ذلك هو ما ذكره الله عنهم في القرآن: أنهم ابتغوا شفاعتهم وجاههم وتقريبهم إلى الله زلفى كما قال سبحانه وتعالى:

﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾[1] فرد الله عليهم ذلك بقوله سبحانه:

---

(١) سورة يونس: الآية ١٨.

﴿قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾[1].

فقرر سبحانه أنه لا يعلم في السماوات ولا في الأرض شفيعاً عنده على الوجه الذي يقصده المشركون وما لا يعلم الله وجوده لا وجود له لأنه سبحانه لا يخفىٰ عليه شيء.

وقال تعالى في سورة الزمر:

﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا لله الدين الخالص﴾[2].

فأبان سبحانه أن العبادة إنما تكون له وحده، وأنه يجب على العباد إخلاصها له جل وعلا لأن أمره للنبي ﷺ بإخلاص العبادة له أمر للجميع.. ومعنى الدين هنا هو العبادة.

والعبادة هي طاعته وطاعة رسوله ﷺ كما سلف ويدخل فيها الدعاء والاستغاثة والخوف والتوكل والرجاء والذبح والنذور كما يدخل فيها الصلاة والصوم والزكاة وغير ذلك مما أمر الله به ورسوله.

ثم قال عز وجل بعد ذلك:

﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾[3].

أي يقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى. إن الله فنّد ادعاءهم وبين مقصدهم وقد أبطل الله ذلك بقوله:

---

(١) سورة يونس: الآية ١٨.
(٢) سورة الزمر: الآيات ١ ـ ٣.
(٣) سورة الزمر: الآية ٣.

﴿إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾[1] فأوضح سبحانه كذبهم في زعمهم أن آلهتهم تقربهم إلى الله زلفى وكفرهم بما صرفوا لها من العبادة وبذلك يعلم كل من له أدنى تمييز أن الكفار الأولين إنما كان كفرهم باتخاذهم الأنبياء والأولياء والأشجار والأحجار وغير ذلك من المخلوقات شفعاء بينهم وبين الله، واعتقدوا أنهم يقضون حوائجهم وقالوا كما أن من له حاجة إلى الرئيس يتشفع إليه بمقربيه، فهكذا نحن نتقرب إلى الله بتوسط أنبيائه وأوليائه. الله سبحانه وتعالى لا شبيه له ولا يقاس بخلقه ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه لأهل التوحيد وهو سبحانه وتعالى على كل شيء قدير وبكل شيء عليم وهو أرحم الراحمين وهو على كل شيء قدير وهو سبحانه القاهر فوق عباده والمتصرف فيهم كيف يشاء، بخلاف الرؤساء والزعماء فإنهم ما يقدرون على شيء ولا يعلمون كل شيء، فلذلك يحتاجون إلى من يعينهم على ما قد يعجزون عنه من وزرائهم وخواصهم وجنودهم، كما يحتاجون إلى تبليغهم حاجات من لا يعلمون حاجته، فيحتاجون إلى من يستعطفهم ويسترضيهم من وزرائهم وخواصهم، أما ربنا جل جلاله فهو سبحانه غني عن جميع خلقه، وهو أرحم بعبده من الأم بولدها وهو الحاكم العدل الذي لا يخفي عليه شيء. لذلك لا يجوز أبداً أن يقاس بخلقه.

ومن المنطلق نفسه كان المشركون ـ كما بين الله تعالى في القرآن ـ يقرون بأن الله هو الخالق الرازق المدبر وأنه هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويحيي ويميت. ولم تكن هذه المبادىء محل الخصومة بين الرسل وأقوامهم وبين محمد ﷺ وقومه المشركين خاصة، وإنما كانت خصومة بينهم في إخلاص العبادة لله وحده. قال تعالى:

---

(١) سورة الزمر: الآية ٣.

﴿قل من يرزقكم في السماء والأرض، أم من يملك السمع والأبصار، ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، ومن يدبر الأمر، فسيقولون الله، فقل أفلا تتقون﴾[1].

وكان الرسول ﷺ يعلم ذلك منهم لذلك كان يدعوهم إلى كلمة (لا إله إلا الله) وأنه يجب أن يعبدوه وحده بلا شريك. روى أبو هريرة أنه قال له ﷺ: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك؟ فقال ﷺ: «من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه»[2].

وقال ﷺ:

«من قال لا إله إلا الله مخلصاً وكفر بما يعبد من دون الله دخل الجنة»[3].

فتقرر مما سبق أن العبادة حق الله تعالى وحده، فلا يجوز صرف شيء منها لغير الله تعالى لا للأنبياء ولا للأولياء ولا للأضرحة. قال تعالى:

﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت، وأنا أول المسلمين﴾[4].

ولأهمية التوحيد وعظم خطر الشرك كتبت هذه الكلمات الموجزة، أسأل الله أن ينفع بها وأن يصلح أحوالنا وأحوال جميع المسلمين، وأن يرزقنا الفقه في الدين والإيمان الصحيح والثبات عليه، إنه سميع مجيب، وهو ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

---

(١) سورة يونس: الآية ٣١.

(٢) رواه البخاري.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سورة الأنعام: الآية ١٦٢.

فهرس